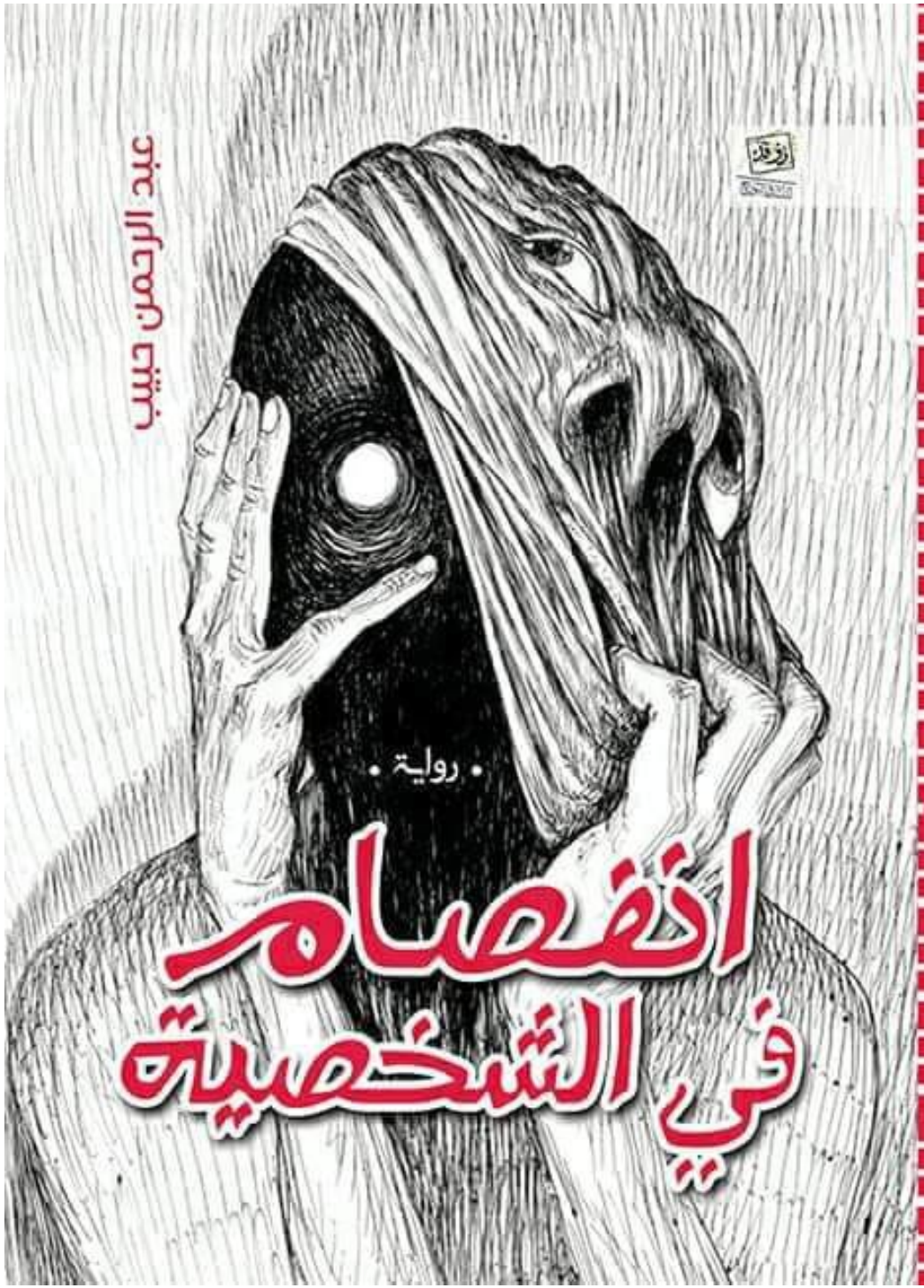

عبد الرحمن حبيب
انفصام في الشخصية

"كان مُنكبًا على أبحاث طبية في مجال علاج المرض النفسي، كنت كلما دخلت عليه أجده يستمع لتسجيلات المرضى ويقرأ مخطوطاتهم، وقد أفصح لي عن أنه يخترع طريقة جديدة للعلاج".

واختتمت حديثها باكية "زوجي لا يهرب أبدًا أنا متأكدة أنه سيعود من أجل ابنيه وزوجته المسكينة التي لا تعرف كيف تتصرف دون وجوده بجوارها".

وقال مدير المصحة الدكتور ممتاز سليم: "عصام واحد من أكفأ الأطباء لدينا، لكنه انكبَّ على بحث غامض أغرقه في الانطواء، كان يحاول علاج المرضى بطريقة جديدة، وقد حذرته من ذلك خوفًا عليه، ويبدو أن ما خشيته قد وقع، فسقط في دوامة الأبحاث الجديدة ولم يعرف كيف يقاومها. أعتقد أنه كان يسعى للمجد بسطر اسمه بحروف من نور في سجلات العلم، فسقط بدلاً من ذلك في سجلات الضياع. هناك عدد كبير من العلماء وقعوا في نفس الفخ، فأهلكتهم علومهم وسعيهم المارق نحو الابتكار".

9789777514163

انفصام في الشخصية

حبيب، عبد الرحمن
انفصام في الشخصية / عبد الرحمن حبيب
روافد للنشر والتوزيع. 2018 طبعة أولى، القاهرة
202 ص ؛ 21 سم
1-رواية
2-العنوان
أ – المؤلف
رقم التصنيف: 008. 813
رقم الإيداع: 3343 /2018
الترقيم الدولي 3- 416- 751 -977-978 :I.S.B.N.
جميع الحقوق محفوظة للناشر

روافد للنشر والتوزيع
تليفون 01222235071 2+
rwafead@gmail.com
www.rwafead.com

تصميم الغلاف: نور إسلام

عبد الرحمن حبيب

انفصام في الشخصية

رواية

إهداء

إلى إخوتي الذين يعانون من الداخل.. معاناتكم الداخلية العميقة هي المعاناة الحقة، وكل ما عداها مجرد ألمٌ خفيف

إن الأشياء التافهة تُسعد البشر

أكثر من الأشياء الحقيقية

كنت قد تخرجت في كلية الطب في ظرف غامض، ففي اليوم الذي كان عليَّ فيه حلف اليمين والتمتمة بتلك الكلمات العجيبة، صحوت من نومي لأُفاجأ بأن كل ملابسي مغسولة. هذا الاختبار العجيب الذي يتعرَّض له المرء مرة كل عام، اضطررت للبس طاقم من الملابس القديمة، أخذته من جار ألقاه لي في حقيبة، وقال قبل ساعات من سفره: "ابقى خرَّجه للناس المحتاجة"، كان القميص البمبي واسعًا والبنطلون البيج له كسرات عديدة، ظننت أنها لا تنتهي. حاولت مداراة ملابسي الشنيعة بحزام وكرافتة، لكن الأمور ظلت على حالها، مُبعثرة. نزلت من بيتي في السيدة زينب وأنا على هذه الهيئة المزرية، فلم يكن هناك حل آخر. مشيت إلى كلية الطب حيث سأحلف اليمين. دخلت متخفيًا إلى القاعة، وأضمرت في نفسي أنني سأتجاهل زملائي وأصدقائي. سأحلف اليمين ثم أتبخَّر، لكنني ما أن صعدت إلى المسرح حتى سمعت أصوات الضحكات والهمهمات والرؤوس التي تتطاول لتبلغ ما أنا عليه من مظهر مضحك. لم أكن أحس أن مظهري منبعج إلى هذه الدرجة وأنا واقف أمام المرآة في بيتي، قلت لنفسي إنها إرادة الله.

في طريقي للخروج من قاعة حلف اليمين، قابلت مجموعة من فتيات السنة النهائية، أغرقنني بالسخرية والضحكات، لكنني تملَّصت منهن بأعجوبة، وقفلت عائدًا أجري إلى البيت. الغريب أنني بمجرد بلوغي الشارع العمومي أحسست براحة لا نهائية؛ عدلت مشيتي، وصرت أتبختر بمنتهى الأريحية؛ إنهم لا يعرفونني، أناس عاديون، ماذا سيقولون؟ وحتى إن قالوا، هناك مثل يقول: "البلد اللي محدش يعرفك فيها امشي وشلَّح فيها"، وأنا لا أعرف أحدًا في هذا البلد. أنا عصام محسن، طبيب الأمراض النفسية الذي قال كلماته وأقسم على أن يجعل المرضى قرة عين.

لا أعرف السبب الحقيقي وراء قراري باختيار تخصص الأمراض النفسية، كل ما أذكره تلك الهراءات التي تجعل من المرء وهو في مراهقته ساذجًا أبله يستسلم للصورة الذهنية، الصورة الذهنية للطبيب النفسي مثيرة جدًا للمراهقين، تجذبهم وتجعلهم عبيدًا لها، حتى أن الكثير من السيدات تذهبن للطبيب النفسي دون أن تعانين من أي اضطراب، يُرِدن تقليد ما يرينه من هوانم المسلسلات، خصوصًا بطلات المسلسلات الأجنبية اللواتي يذهبن جميعًا إلى الطبيب النفسي وكأنهن يعملن عنده.

عمومًا.. فإنني أدركت الفخ الذي أوقعت نفسي فيه بعد سنوات من الدراسة. لكن السيف كان قد سبق العزل، فلم يعد باليد حيلة. بدأت أدرك خطورة المصيبة التي أوحلت نفسي في طينها لما انخرطت في مجال التدريب العملي، فعنابر المرضى النفسيين تثير الرثاء في المستشفيات الحكومية، وعندما قررت بعد سنوات من التخرج تغيير المسار إلى المستشفيات الخاصة أدركت أن الحال فيها ليس أفضل بكثير. عشت في تلك الفيلات والمراتع التي تتناثر في مصر الجديدة والعبور والتجمع الخامس، ووقعت على مآثرها وأعاجيبها العجاب التي يشيب لهولها الولدان.

كنت قد تزوجت وأنجبت طفلين، فبات رقادي في مراتع الطب النفسي بالساعات أمرًا لا بد منه، لتوفير حياة أفضل لأسرتي، لكنني كنت يومًا بعد يوم أرثي حالي، وأحاول الإجابة على سؤال عمري: لماذا اخترت المرض النفسي تخصصًا؟ لماذا لم أختر تخصصًا مثل أمراض النساء والتوليد؟ كنت لأعوم في مباهج السيدات بدلاً من الضياع في هذا الليل الحالك الذي يحيط فؤادي من كل جانب.

بعد نهاية مرحلة الاستياء والتردد، والغرق في الوظيفة والروتين وعدم الرضا، بدأت أنزلق إلى مرحلة جديدة، لم أكن أتخيل

الوصول إليها، وهي مرحلة البحث عن جديد. غالبًا كنت أبحث عن شيء يعطي لحياتي معنى، فقررت في ليل غامض أن أعالج مرضاي بطريقة جديدة، تعتمد على العلاج السلوكي، بعد أن اكتشفت أن أكثر المرضى النفسيين يحتاجون فقط إلى من يتكلم معهم؛ لديهم جفاف شديد في الوجدان، ويريدون أحدًا يتعامل معهم وكأنهم عميان. ما هي الصعوبة في ذلك؟ فهب أن الله رزقك بأخ أعمى، فهل ستتركه نهبًا للوحدة أم أنك ستأخذ بيده؟ لماذا لا تفعل ذلك مع المريض النفسي في عائلتك؟ بل لماذا لا تفعل ذلك مع نفسك عندما يسيطر عليك المرض النفسي؟ لماذا تحس بالخيبة وتنغمس في الرفض؟ لماذا لا تتعامل مع نفسك كما يتعامل الأعمى الذي فقد البصر مع عماه؟ لماذا لا تستسلم للقضاء والقدر وتواجه مصيرك بلا رفض وجزع؟

طلبت من المرضى تقليل جرعات الأدوية والاعتماد على التفريغ، تفريغ المشاعر بالكلمات والجلسات الجماعية، فجعلتهم يكتبون ما يحسون به، ويسجلونه بأصواتهم، ليعيدوا سماعه مرة أخرى. وحققَت تلك الطريقة نجاحًا مدويًا، جعل الأطباء والممرضين وأهالي المرضى يحاربونني، لكنني أصرَّيت وجعلت

أستمع لقصصهم، ثم ضبطتُ نفسي وأنا أغرق في مرحلة أخرى من مراحل حياتي، مرحلة الاستمتاع.

كانت القصص على الرغم من مآسيها، مليئة بالدراما المعجزة والألغاز التي تتجاوز الطب النفسي كتخصص، يمكن أن تصل بمن يستمع إليها إلى آفاق جديدة نحو حل كل الألغاز البشرية، فهناك شيء مستتر خلف المرض النفسي، هناك طاقة غامضة تقف وراءه، هناك إمكانية عجيبة عند أغلب المرضى لم يستطيعوا استغلالها، فعملت الطاقة عملها داخلهم وأفسدت استقرارهم الداخلي، وجعلتهم يخرجون من المشهد البشري ليصبحوا من المغدورين.

أحمد هنائي

اسمي أحمد. بدأت قصتي مع المرض النفسي عام 2009، في أواخره على وجه التحديد، فقد بدأت أفكر أفكارًا عجيبة لا يمكن أن تأتي في رأس أي إنسان طبيعي، أو أنها لم تكن تأتيني في الماضي على الأقل. لا يمكنني تذكُّر طبيعة هذه الأفكار، لكن ما أتذكره أنها كانت مشوَّشة للغاية وحزينة.

في المنزل الذي كنت أعيش فيه، كنت أنام ساعات طويلة وأفكر. رأسي لأعلى ووجهي صامت ثابت، لا يتحرك، لا يرمش لي جفن بالدقائق، على الرغم من الضجيج الذي تصنعه جوقة أطفال تجعل الشارع مثل السيرك.

أحيانًا أسأل نفسي: هل كنت ألعب مثل هؤلاء الأطفال؟ لكنني لا أتذكر الأمر، كل ما أذكره أن إخوتي الكبار كانوا يلعبون باستمتاع رهيب، كانت وجوههم تتحول إلى قطع من الجمر بعد مباريات الكرة التي كانوا يلعبونها في الشوارع والحارات والشون (قطع الأرض الفضاء). بلا وعي كانوا يلعبون. لكنني لم أكن ألعب، لم أجد أي متعة في لعب الكرة مثلاً، ثم أنني لم أجد متعة في الألعاب عمومًا، ولم أفهم قط من أين تنبع المتعة في الجري وراء

كرة. وعليه فإنني بطبيعة الحال لم أكن مُحِبًا لمباريات الكرة، ذلك الطقس الشعبي الذائع، الذي ازداد ذيوعًا على ذيوعه، حتى صارت كل المقاهي تتلاعب بالوصلات والكروت، والأطفال يستميحون آباءهم عذرًا للبس فانلة ميسي بدلاً من شراء علبة آيس كريم أو قالب من الحلوى.

الفتيات أيضًا انضممن إلى الجوقة، فلم تعد هناك فتاة واحدة لا تعرف أسماء لاعبي الكرة، صارت صور لاعبي الكرة توضع في ملفات الدروس وكتب الدارسة والتعليم ومذكرات المراكز التعليمية. هناك صغيرات يحببن اللاعبين الأجانب، والبعض منهن المتواضعات، يعشقن لاعبي الأهلي والزمالك، الذين تتميز وجوههم بالوسامة المحلية. كل هذا يحدث حولي وأنا خارجه تمامًا، فقط مصاب بالذهول.

لم تكن لي هواية، وكان أبي يقول لي ذلك غائظًا، ولم أكن أفهم لماذا يغيظني بهذه الطريقة! وكأنه ليس مسؤولاً عن ذلك، كان الرجل يستغرب ويضرب كفًا بكف عن وقوفه على تلك الملحوظة، وكأنه اكتشف كنزًا تحت بلاط شقتنا القديمة، التي يشعر الرائي أنها قديمة، مع أنها أُنشِئت في عهد السبعينيات. هل تُعتبر قديمة هكذا؟

لكنني بالعودة إلى موضوع الهوايات، أكتشف أنني فعلاً لم أفكر في أي هواية قط. لم أشعر بالميل تجاه أي مجال، حتى تلك الأشياء التي تستهوي الأطفال لم أفعلها، فلم أُطيِّر طيارة، ولم ألعب بنحلة تعمل في الأرض مثل الخابور، ولم ألعب البلي في الشوارع. هناك بعض المحاولات المشوَّشة للعب "الفيديو جيم"، لكنها محاولات بائسة، لم ترتقِ إلى درجة إدمانها كما يفعل بعض الأطفال والمراهقين.

لكن الغريب أنني لم أهوَ القراءة، كما كانت حال إخوتي الثمانية. كانوا يأكلون الكتب كالدود. أخي الأكبر هو من بَثَّ هذه الروح في البيت، ووصلت تلك الروح إلى أختي الصغرى التي تعلمت القراءة غصبًا على نفسها، فقد كانت تبكي لساعات لأنها لا تستمتع مثل الباقين الذين ينظرون في المجلات والقصص كأنهم في مكتبة. ثم أنها تعلمت القراءة بعد محاولات مضنية، كانت في السابعة من عمرها وكنت أنا في الثانية عشرة، ولا أجد في نفسي أي ميل لما يفعلون. صحيح أنني كنت أقرأ كما يقرأون، لكنني لم أكن أستمتع مثلهم، ولم أكن أشعر بالشغف كما يشعرون، فلم أطارد الكتب في المكتبات، ولم أكن يومًا من جمعية

أصدقاء المكتبة، ولم أدفع مليمًا واحدًا لشراء أي كتاب في أي مرحلة من مراحل حياتي.

باستثناء لِعبِي للأتاري، فلم أنخرط في أي نشاط جماعي منذ الصغر، فما الذي كان يستهويني؟ لا أتذكر، لكنني واثق تمامًا من أنني اخترت أن أكون النموذج المدلَّل في هذه العائلة. لم أختر ذلك اختيارًا، لكن الآخرين هم من دفعوني، فقد دللني جدي الأكبر بشكل مبالغ فيه، وأسبغ عليَّ نعمه ظاهرة وباطنة، وجعل مني الفارس الأول، فقد أعلن أكثر من مرة أنني حفيده المدلل بين ثلاثة أحفاد، غير أنني كنت الكبير بينهم، فحصلت على القدر الأكبر من التمييز.

بعدها أبهرتني وسامتي، فقد بدأتُ أدرك شكلي الحلو منذ كنت صغيرًا للغاية، وكان الآخرون أيضًا يدفعونني إلى ذلك دفعًا، فقد طافت بي خالتي عندما كنت صغيرًا أرجاء الحي الذي سكنَّا فيه ذات أيام في منطقة متطرفة بالجيزة، كانت تتنافس مع النساء الأخريات متباهية بما أنعم الله عليَّ به من شكل جميل، فقد كنت أبيض البشرة، ذلك البياض الشاهق الجميل، ولي وجه مرسوم وملامح منمقة، وعينان واسعتان موحيتان، كما أنني تفاديت كل الصفات العجيبة التي ابتُلي بها إخوتي، فلم يكن فمي عريضًا

كأخي الأكبر، ولم أكن أسود الوجه مثل أخي الأصغر، ولا طويل الوجه مثل أختي الصغرى.

لكن ما كان فارقًا في حياتي هو صداقتي بأولاد خالني الأغنياء بشكل فاحش، فقد أطلعوني على ما لم يكن لي أن أطلع عليه، ففقدت الصفات الأساسية في عائلتي التي تشتهر بالخشونة والقدرة على التحمُّل والسريان في الظروف الصعبة، كما يسري متسلق الجبال في خطه. علموني الرخاوة، إن جاز الوصف، فصرت كائنًا استهلاكيًا، لست معنيًا بأي شيء، وليس لأي شيء عندي قيمة، أخذت منهم التفاهة التي لم تكن قط قدر أي فرد من عائلتي، لكنني لم أعرف إلى الآن لم سقطتُ وحيدًا ضحية فكرة التأثير والتأثر! لماذا أثَّروا هم في هكذا؟ ولماذا لم أؤثر أنا فيهم؟ ألأنهم أغنياء؟ أخى الأصغر مني بسنتين ناله من الحب جانب، فقد طبَّعه أولاد خالتي الأغنياء بطابعهم لبعض الوقت، لكنه نجا في اللحظات الأخيرة من أن يكون مثلهم، لكن كيف؟ لا أذكر، أو أنني أذكر أن الأمر تم على نحو غامض، فلم يعد محسن شقيقي الأصغر منبهرًا بهم ولا بأصدقائهم، فقد كوَّن لنفسه عالمه الخاص، في الوقت الذي كنت أنا فيه قائدًا لهذه المجموعة، أقودهم إلى الملاهي الليلية ويدفعون هم الأموال. كنت

مستمتعًا بوضعي العائلي المرموق، كنت آمرهم فيسمعون، وأبتغي فينصتون وأنحني فيرفعون، كانوا لي خير دليل إلى عالم الضياع.

ذات مرة ذهبنا إلى حفل في الساحل الشمالي مع حقيبة أموال. كان عندهم سيارات، يسرقون من أهاليهم، كأنه موضوع متكرر، ثم يصرفون ما وفقهم فيه ربهم ويعودون للسرقة من جديد. خالتي كَفَت على الخبر ماجورَ كلِّ مرة، لكن لوحظ ذات يوم أنهم جميعًا سرقوا في نفس الوقت. عرف الأب الذي يتاجر في بضاعة تافهة صارت مطلبًا للمُصدِّرين والمستوردين، نوع من البلاستيك، تُصنَع منه العلب. لما عرف الرجل ملَّص لهم آذانهم، ثم قال لهم بعد أن أوقفهم صفًا: لا بد أن تقطعوا علاقتكم بأحمد هنائي. وكانت هذه أول محاولة للتفريق بيني وبينهم.

حاتم دغيش

كان كل شيء في حياتي يمضي بطريقة عادية، حتى ذلك اليوم الذي ذهبت فيه إلى مركز شباب حلمية الزيتون للمشاركة في ندوة شعرية، كان يومًا عاديًا ككل الأيام، ركبت المترو من محطة عين شمس، حيث أسكن في بيت بائس اشتراه أبي في غفلة من الزمن، بشارع يقع قرب خط السكة الحديد القديم، ثم نزلت في محطة حلمية الزيتون، ومشيت تلك المسافة البسيطة التي تفصل المحطة عن مركز الشباب، الذي تحول إلى معقل للشعراء المغمورين، الذين يعمل غالبيتهم مثلي في تدريس اللغة العربية، وبعض المهن المضحكة، فسيد البلقاسي مثلاً يعمل مدير مبيعات في شركة حلوى. ما علاقة إدارة المبيعات بالشعر؟! كيف تعلم هؤلاء الأطفال اللغة؟! حضرت مبكرًا جدًا، فالساعة في يدي أشارت إلى السابعة وعشر دقائق مساء، بينما تبدأ الندوة في الثامنة؛ قررت الجلوس في الساحة التي تقع أمام المنتدى الثقافي، لكنها كانت مزدحمة بشكل يثير القرف، بمجموعات المراهقين الذين يمرحون خلف الفتيات، ومجموعات الفتيات اللواتي يبحثن عن عريس، وعيال ذوي أشكال مقرفة يجرون خلف بعضهم

بعض ويتقاذفون بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان. وقفت تحت شجرة أنتظر ظهور واحد من الزملاء الشعراء، غير أن أحدًا منهم لم يظهر. ثم وقع ذلك الحدث الغريب. لقد سمعت الشجرة تتكلم، ماذا قالت؟ لم أعد أتذكر، لكنها تكلمت، قالت جملة واضحة، سمعتها كما يسمع المرء شخصًا يكلمه، ما الذي يحدث يا حاتم؟ أنت مدرس للغة العربية، فهل يليق بك أن تكلمك الأشجار؟! لم يكن الأمر خيالاً ولا تهيؤات، لم أستطع نزع الأمر من ذهني، أين أنتم أيها الشعراء؟ أريد واحدًا منكم ليكون شاهدًا على ما يحدث، الشجرة تتكلم، لكن واحدًا من الأوغاد لم يظهر، إنها لحظة تاريخية وتستحق التسجيل. أنا شاعر في النهاية ولا تفوتني مثل هذه الحوادث التي لا تتكرر. سأتصل بواحد منهم. وضعت هاتفي أمام وجهي وطلبت عبد الحميد فتحي، القاص والناقد، ثم أبلغته ما حدث، قلت له إن الشجرة تتكلم معي؛ ذُهِل عبد الحميد، ثم أخذ يضحك. علامَ يضحك هذا التافه؟! كنت أتكلم بجدية، كررت له ما قلت، فقال لي: ما هو المطلوب؟ قلت له: لا بد أن تأتي فورًا لمطالعة هذه الظاهرة، لكن اللعين لم يفعل، وبدلاً من ذلك اتصل بشاعر العامية طاهر سعيد وأخبره بما حدث، قالا لي إنهما استلقيا على قفيهما قبل أن يأتيا كتلاميذ المدارس الخائبين وهما غارقان في هيستريا ضاحكة؛ كانا

يظنان الأمر دعابة، لكنه كان حقيقة. سألاني: ماذا حدث؟ فأعدت لهما ما قلته لعبد الحميد، فاستمرا في الضحك، حتى بدأت أغتاظ بشدة مما يفعلانه، ثم تشاجرت معهما وتركت مركز الشباب. وكانت هذه الحادثة هي بداية معاناتي، فقد تكررت بعدها السخرية وأشياء أخرى مما أفعله وأراه.

لم أقل لأحد بعد ذلك عما أشعر به وأحسه. كلنا يرى الأشياء الغريبة ويسمع الأصوات العجيبة. لقد رأيت ذات مرة وأنا صغير جنيًا يقفز سور مخزن قرب منزلي، كان يكسوه البياض، وله جسد يشبه المطاط، شعرت أنه هلامي، ثم تصورت أنه ليس إنسيًّا.

انتقمت من هذين المأفونين، طاهر سعيد وعبد الحميد فتحي، أحضرتهما إلى الشقة التي تركها لي أبي في المنزل ذي الأربعة طوابق كأنه يترك لي صدقة، وأخذنا نتذكر الموقف المضحك. كنت أغلي لكنني لم أُظهِر لهما. أخذنا تبادل الأشعار المطوية والمكتوبة، كان الأمرُ أشبه بالمبارزة. أكلنا وشربنا، ثم حان وقت العقاب، عندما همَّا بالمغادرة أقفلت الباب ثم وضعت المفتاح في درج مكتب غرفة النوم، وقلت لهما إن الباب أُغلِق من الخارج، وأنهما باتا محبوسين في المكان ولا يمكنهما المغادرة قبل الخامسة

صباحًا عندما يمر أبي عليَّ في جولته الصباحية لإعطائي بعض النقود، لعدم كفاية مرتبي الوظيفي. ظلا يحومان طوال الليل في الشقة كالغربان، ثم فرش أحدهما ورق جرائد ونام في الأرض، بينما ظل الآخر، طاهر سعيد، يسعى من وإلى المطبخ لعمل أكواب القهوة لقتل الوقت، ولتساعده على السهر حتى الخامسة صباحًا، شربا السجائر التي كانت بحوزتهما، ثم ظلا بعدها يتلويان لقلة النيكوتين في جسديهما. وعندما جاءت الساعة الخامسة صباحًا فتح أبي الباب من الخارج، فخرجا كأنهما كانا محبوسين في زنزانة، وفَرَّا هاربين، وكان منظرهما مضحكًا، حتى أنني ظللت أشعر بالسعادة طوال اليوم لأنني انتقمت منهما شر انتقام.

لكن الأشياء الغريبة عادت لتطاردني، فما حدث لي من وقائع عجيبة بات يتزايد، فقد بدأت أسمع أصوات الجمادات بشكل أوضح، أسمعها تتكلم وتصرخ ولا يبدو لي أنها تكلمني لكنها تتكلم، الكلام لا يبدو واضحًا لكنه كلام، أصوات وغمغة وهمهمة وثرثرة. الأشياء تتكلم. كيف تقول حقيقة مثل هذه للمجتمع؟ كيف يصدقك الناس؟ لن يصدقوك، لكن الجماد يتكلم، الأحجار، الطوب، المكاتب، الأشجار.

لا أعرف لمَ اختاروني أنا دونًا عن باقي البشر ليبوحوا لي بأسرارهم التي لا أفهمها، هل يعود الأمر لكوني شاعرًا؟ هل فهموا أنني سأفهمهم لأنني شاعر، أم أن كوني شاعرًا هو الذي جعلني قادرًا على النفاذ إلى أعماق الأشياء، إلى كينونة الجمادات ولغتها وحياتها التي تبقى محبوسة في آذاننا فقط بين جدران الصمت؟ من أين تبدأ الحكاية؟ وأين ستنتهي؟ وإلى أين ستفضي بي؟

المرة الثانية التي سمعت فيها الجمادات تتكلم، كان الجدار، تكلم، وفي هذه المرة أيضًا حاولت تجاهُل الأمر، وضعت رأسي في الرمل كالنعامة، وأوهمت نفسي أن شيئًا لم يحدث، لكن الفكرة تعوم في رأسي، تطاردني، ولا يوجد مجال للتخلص منها. أجلس تحت النافذة فأتذكرها، أمشي إلى المدرسة فأتذكرها، أقف في الفناء فأتذكرها، بل إن ما زاد وغطى هو أنني صرت أتذكرها وأنا واقف في الفصل أشرح الدرس للأولاد، الذين يوهمون أنفسهم بالتعلم في مدرسة محمود فكري الابتدائية، فكلما سألني واحد منهم سؤالاً، تذكرت الفكرة التي تسيطر عليَّ بدلاً من الإجابة. الأشياء تتكلم. هل يُعتبر "من" حرف جر في كل الأحوال، حتى إن جاء في مقدمة السؤال؟ الأشياء تتكلم. هل يمكن للبدل أن يكون اسمًا من أسماء الإشارة؟ الأشياء تتكلم. كلما سألني واحد

من التلاميذ سؤالاً سرحت قليلاً لأفكر في أن الأشياء تتكلم. بات الأمر محرجًا؛ الأولاد لاحظوا، فأصبحوا يسألونني كثيرًا ليستمتعوا بسرحاني قبل الإجابة المبعثرة. لم يعد يمكنني مقاومة الفكرة؛ باتت تسيطر عليَّ، تطاردني، تظهر لي في أحلامي وكوابيسي، وأحيانًا أراها مكتوبة فوق الجدران، فماذا أفعل؟

لا شيء أصعب من أن تسيطر فكرة على رأس إنسان، سيستسلم لها في النهاية، سيرضخ، سيرفع الراية البيضاء. الآن أفكر في أن التحكم بالأفكار أمر صعب للغاية، وأفكر في أن الجزء الأكبر من الطاقة الداخلية للإنسان يُهدَر في هذا الاتجاه، السيطرة على الأفكار. لكن هل هناك من يسيطر على الأفكار بنسبة مائة بالمائة؟ لا أحد، أنا واثق مما أقول، بعد تجربتي تأكدت من ذلك، ففكرة واحدة الآن تجعلني مصابًا بالسهاد، لا أنام، أظل صاحيًا طوال الليل أفكر في أن الأشياء تتكلم. الجدار، أعود إليه، هل يتكلم ذلك الجدار منفردًا أم أن كل الجدران الأخرى تتكلم؟ إن كانت الجدران كلها تتكلم، فهل يمكن أن تدخل في سيمفونية، تتكلم جميعا في نفس الوقت كما يفعل البشر؟ ماذا لو أنها فعلت؟ ستدمر عقلي في هذه الحالة. لم أعد مشغولاً بشيء منذ ذلك الحين، لم أعد أفكر في التفاهات التي يفكر فيها البشر،

لم أعد مشغولاً بالفتيات اللواتي يعبرن للركوب من محطة مترو عين شمس، كنت أتتبعهن كل يوم، بغض النظر عن أشكالهن، فأنا أتابع فقط ما يلبسن، أتابع حركة أجسادهن، وأنسى أنني بلغت الثامنة والعشرين، وصرت مدرسًا للغة العربية والدين. لم أعد أفكر في مباريات الكرة، والكتب التي أشتريها من جامعي الكتب القديمة الذين يمرون في الشوارع، لم أعد أفكر في الواقع إلا لمامًا، صرت أفكر في شيء واحد فقط، الأشياء تتكلم.

شريهان يحيى

لما كنت في الثانية عشرة من عمري، وقع الطلاق بين أبي وأمي. كان موقفًا مؤسيًا. كانا يتشاجران لأسباب لا أفهمها، فلم أعرف مرة واحدة محور الشجار بينهما، لكن ما فهمته من هذه المشاجرات حقيقتان، الأولى أن أبي بخيل، والثانية أنه لا يريد تعليمي في مدارس خاصة. كانت أمي مُصِرَّة على العكس، ولم أفهم لماذا كانت مُصِرَّة إلى تلك الدرجة! كان من الممكن أن تتركه يُنفِّذ إرادته ويعلمني في المدرسة الحكومية، فقد قابلت بعد ذلك أناسًا كثيرين في حياتي ممن تعلموا في المدارس الأميرية، وكانوا نظيفين جدًا من الداخل، فلم يصبهم أي ضرر لأنهم تعلموا بطريقة متواضعة، فقد انتشروا بعدها في المؤسسات وصاروا موظفين محترمين، وأصبح أحمد مثل الحاج أحمد، كما يُقال، فهل كان تعليم هؤلاء في المدارس الخاصة سيفرق معهم؟! الناس يتعلمون، والصالحون منهم والطالحون يدخلون الجامعات، ثم يتخرجون جميعًا ليجلسوا على نفس المقهى، هذا بالنسبة إلى الشباب، أما بالنسبة إلى الفتيات فإنهن يقضين الليل والنهار في الشجار مع الأمهات، والمتعلمات الحقيقيات يكتفين بالوظائف المتواضعة في النهاية.

في نهاية المطاف لم تفِدني اللغات التي تعلمتها، فكل ما حدث أنني صرت أُميِّز الكلمات الإنجليزية بسرعة أكبر، وأفهم الأفلام الأجنبية أفضل، ثم ماذا بعد؟ لم يحدث أي شيء، فقد تعاقبت الفصول وتخرجت في الجامعة، واشتركت في مئات الكورسات لتحسين ما انتزعَته أمي من الحياة لتعليمي، وتخرَّجت أجيال أخرى من إخوتي، ودار العالم دورته، وحلَّق الطير وطلعت الشمس وغربت، وبقيت عاطلة عن العمل، على الرغم من تلطُّعي على جدران مؤسسات طالما حلمت بالعمل فيها، دون أن يصيبني منها إلا كل شر. دخل الناس وخرجوا أمامي من دهاليز الحياة، وسافروا، دون أن أتحرك أنا من مكاني. شعرت بالغم ثم شُفِيت مما شعرت به، ثم عُدت للغم مرة أخرى. غيرت مكاني في غرفتي لأنام نومًا أكثر راحة، فجرَّبت الجهات الأربع. غيَّرت أسلوب لبسي، دون أن تنتهي المعاكسات في الشوارع، وفي النهاية أعود مرة أخرى إلى تلك المشاجرة التي جعلت الرجل يغادر منزله، الرجل الذي تزوج أمي على الرغم من كونه فقيرًا وهي غنية. استمتع بها فترة من الزمن، واستمتع بمنزلها بعد أن احتضنته فيه، ثم غادرها واختفى.

حاولتُ العمل في وظائف كثيرة، لدرجة أنني استسلمت لواحدة من قريباتي، قالت لي إنها سوف تُزكِّيني للعمل في وظيفة سكرتيرة، وأنا التي تخرَّجت في كلية إدارة الأعمال بجامعة خاصة، كانت أمي تدفع فيها عشرة آلاف جنيه في العام. قُلت أجرب، ذهبت إلى مقر الشركة في الشيخ زايد وتجاهلت بُعد المسافة، ركبت ميكروباصًا، وتعطَّرت، واستعنت بالدعوات، حتى وجدت نفسي في الشركة التي تبيع بعض المواد الغريبة، التي تُستخدم في تصنيع المواسير. قابلت المدير الذي قال لي: يا ابنتي أنتِ فتاة ممتازة. ولما عرضتُ له قدراتي في اللغة الإنجليزية طار الرجل من الفرحة ولمعت عيناه ببريق غريب. ثم بدأت العمل مقابل ألف وسبعمائة جنيه، وهو مبلغ أقل بكثير من مصاريفي. في هذه الآونة كانت أمي تتحدث معي عن أهمية ترك الوظيفة من أجل مراعاة أخي الصغير. لا أفهم هذه السيدة، وأحس أحيانًا أنني أكرهها، فهي تُصدِّر لي الطاقة السلبية بالأطنان، ولا تلتفت إلى كوني فتاة وأحتاج إلى معاملة خاصة. تُعاملني بلا اكتراث وتُشعِرني أنني إرث ورثتْه عن أبيها، الذي ترك لها شقة يرمح فيها الخيال بالجيزة.

لكنني لم أقبل بالقهر والخذلان، فأصرَّيت على الاستمرار في الوظيفة مهما بلغت درجة سخافتها. كنت أفكر وأنا ذاهبة وعائدة في كراهيتي لأمي التي تتزايد يومًا بعد يوم، لتصبح حقيقة لا يمكن الفكاك منها، إلا بحقيقة أكبر منها، وهي أنني أكره أبي أكثر منها بكثير.

في كل الأماكن التي عملت بها واجهتني مشكلات لا حصر لها، على الرغم من كوني حديثة التخرج فأنا سأتم ثلاثة وعشرين عامًا قريبًا. فعندما عملت متدربة في بنك تشاجرت يوميًا مع زملائي، وفي واحدة من هذه المشاجرات كسر زميل لي السماعة التي أستمع بها للأغاني. في نهاية المشاجرة، رمى لي خمسين جنيهًا، وقال لي: "اشتري واحدة بدلاً من المكسورة"، كان رجلاً في منتصف العمر، ولم أكن قادرة على التطاول عليه. خرجت من البنك في هذا اليوم وأنا أبكي، كنت منهارة، رميت نفسي في حضن أمي التي أكرهها، وأخذت أنهنه كأنني طفلة كُسِرَت لعبتها. قالت لي أمي في ذلك اليوم قولتها الشائعة:

– اتركي العمل وتفرَّغي لإخوتك في المنزل؛ أنا أم وموظفة في شركة لا ترحمني، تأخذ من دمي ثماني ساعات عمل يوميًا.

– وماذا عن مستقبلي؟!

أجابتني: مستقبلك؟! تزوجي من رجل جيد ولا تكرري تجربتي.. ركزي.. ليكن زواجك من إنسان جيد هدفًا، فأنتِ لن تحرري الأقصى بمجهوداتك، لا وسائط لنا في هذا البلد، ولا نعرف إلا بعضنا، هذا إن عرفنا. فما الذي ستصلين إليه؟ هل تظنين أنك ستصبحين يومًا مديرة البنك الدولي؟!

سمعت هذه الكلمات ثم تركتها ومضيت. جلست في غرفتي وفتحت اللاب توب. شغَّلت فيلمًا سخيفًا وجلست أمامه كأنني ألعب اليوجا، وبعد ساعات من التحديق في الفراغ والسرحان أمام الفيلم نمت في مكاني، وتركت طاقتي العدوانية ترعى في الأحلام، التي تتحول إلى كوابيس، تجعلني أصحو في الليالي المظلمة لأتلمَّس الحوائط كي أصل إلى شربة ماء، قبل أن أعود لمواصلة كابوسي الأكبر.. الحياة.

عصام محسن

كنت أعمل على شرائط الكاسيت التي أجعل المرضى يعترفون لها كأنها محراب. كنت أكتب الاعترافات وأضعها على الورق فتكتسب طابعًا آخر. أكتب على كل قصة اسم صاحبها، وأبدأ في تدوين الملاحظات. ولأن الحيطان لها آذان، وكل مستتر ينكشف بعد فترة من الزمن، فإن مدير المستشفى وبعض زملائي كانوا يرمونني بنظرات سخرية وأنا أفعل ما أفعل، فهناك شخص ما يريد تغيير العالم، ولا بد أن يتصدوا له.

دخل الدكتور ممتاز سليم مدير المستشفى الخاص الذي أعمل به في مصر الجديدة، ورمقني بنظرة متعالية، ثم قال لي: ما هذا الذي تفعله؟ هل تكتب يومياتك؟ أنت رومانسي جدًا على فكرة!

قال عبارته ثم أخذني على جانب الغرفة دون سبب مفهوم، فلم يكن هناك أحد سوانا. قال لي: الطب النفسي يعني أدوية.. لازم تخليك "هارد كور"؛ سيبك من الرومانسيات.. كلنا مررنا بما تفعله الآن.. ستمتثل للواقع بعد فترة، أريد أن أوفر عليك هدْرًا

في الوقت والطاقة. بعد فترة ستتأكد أن العلاج النفسي يعتمد بالأساس على الأدوية وجلسات الكهرباء، والطرق العنيفة.

أومأت برأسي وكأني اقتنعت، فغاظه ذلك، كان يتمنَّى أن أدخل معه في جدل، عقيم أو مفيد؛ أغلب البشر يسعون لإيجاد من يجادلهم، الناس يحبون الجدال جدًا وإن تظاهروا بالعكس.

دخل وراءه الدكتور أحمد المسلمي، ثم نظرني وأخذ يضحك بصوت عالٍ، قال لي: يا ابني إنت بطَّل بقى!

شعرت بالغيظ مما يفعله؛ قلت له، وأنا أحاول مداراة مشاعرى: "بنحاول..."، قال لي: "بتحاول في عبث"، قالها ثم جلس إلى جوار الدكتور ممتاز سليم، ثم أخذا يتهامسان، وكان واضحًا أنني موضوع الحوار بينهما. كان يقول له إنني سوف أقودهم إلى الهاوية أو إلى ستين داهية، شيء من هذا القبيل. وبدأ يقول كلامًا مبعثرًا عن أهالي المرضى لم أفهم منه شيئًا. خرجا وتركاني وحيدًا أكمل ما بدأته، لكن ما بدا واضحًا أنهما لن يدعاني أفعل فعلتي الشائنة وأعالج المرضى بطريقة التفريغ.

أحمد هنائي

في مراهقتي حلمت ذات مرة بمجموعة من الآيات القرآنية المتراصة إلى جوار بعضها بعض. جاءتني هكذا في الحلم. ومنذ ذلك الحين وقع في نفسي أنني مميز، وأنني مُختار بطريقةٍ ما، ولم أستطع نزع الفكرة من رأسي. كانت الفكرة تروح وتجيء ولا تستقر على حال، لكنها باتت من أفكار حياتي بما لا يدع أي مجال للشك.

لم أكن قد قرأت كثيرًا عن فكرة الإشارات، لكنني بدأت ربط الأمور على نحو مختلف، فعندما كنت أسمع آية قرآنية في أي ميكروباص أركبه كنت أفهم أنها رسالة لي، كنت أربطها بحدث، كالذهاب إلى المقهى مثلاً، فأفهم أنها رسالة لإبعادي عن هذا الطريق. لكنني لم آخذ أي خطوات لتنفيذ ما تأمرني به الإشارات، لأنني لم أكن متأكدًا من شيء في هذه المرحلة من حياتي.

في الصف الأول الثانوي بدأت أتغيَّب عن المدرسة، كنت أنام ساعات طويلة بدلاً من الذهاب لإضاعة وقتي وجهدي في اللا شيء. لاحظت أمي، ثم قالت لأبي. سمعتهما يتحدثان في

هدأة الليل. قالت له إن الولد –وكانت تقصدني– لم يعد يريد الذهاب إلى المدرسة، فردَّ عليها ردودًا عنيفة جدًا، ثم اتهمها – كالمعتاد– بأنها أفسدت عيالها لدرجة أن واحدًا منهم –وهو أنا– قرر المروق والخروج عن المسار المرسوم لكل زملائه في الحياة.

أما أنا، فما بدا غامضًا بالنسبة لي، هو عدم قدرتي على تحديد سبب الرغبة في الغياب الدائم والمستمر عن المدرسة، غير أنني اطمأننت إلى أنه عَرَض شائع عند كل أفراد أسرتي، فأخي الأكبر أنذروه في المدرسة بالفصل، وأنا لست أفضل منه على أي مستوى من المستويات. ما كان واضحًا أن رغبتي في الغياب عن المدرسة كانت عارمة.

قبلها بسنوات كانت الروح الشريرة داخلي، التي لا أعلم مَن زرعها، قد وسوست لي بأن أُنفِّذ حيلة الاختباء، فاختبأت خلف الباب، وقفت وراءه لمدة ساعتين مُتخشِّبًا بلا حركة، وكنت قبلها حاولت تنفيذ حيلة الاختباء أكثر من مرة تحت السرير، لكن المحاولة كانت تفشل. بدأت أمي المسكينة تبحث عني بعدما انقطع كل أثر لي من المنزل، غير أنني لم أصدِر أي صوت. انضمَّ إليها أخي في رحلة البحث عني، ثم نزلا إلى الشارع بعد أن قالت أمي إنني تُهت. كل هذا وأنا واقف خلف باب غرفة نومي

وإخوتي، لم أكن مستمتعًا بقدر ما أنني تورطت في الموقف. عندما عادا كنت نائمًا على السرير.

بدأت أمي تُدرِك أنني غريب، لم تقل شيئًا، لكنني أحسست بذلك، لم تفعل شيئًا لإيقاف غرابتي، لكنها باتت تتعاطف معي بشكل زائد، فتُقدِّم لي ما لا تُقدِّمه لإخوتي، عرضت عليَّ مساعدتي في مذاكرة دروسي، فرحَّبتُ بالفكرة، غير أن ذلك لم يؤثر على مسيرتي الدراسية التي كانت تتداعى. لم أعد أحب المذاكرة ولا التعليم كما كنت أحبهما، فقد كنت من المتفوقين حتى بلوغي الإعدادية، بات الحديث عن مواصلة مسيرتي وتفوقي هُراء وهزلاً، فليست لديَّ رغبة في ذلك، ما كانت رغبتي حينئذ؟ لا رغبات لي، فلو سألني أحد فيمَ ترغب، فإنني كنت أسكت، فقد فقدت الاهتمام كليًا بالعالم الأرضي كله، وبدا لي أنني خُلِقت من أجل البحث عن شيء آخر في مكان آخر، ما هو؟ لا أعلم.

إلا أن إحساسي بأنني مُكلَّف بأمر مختلف عن البشر بدأ يتصاعد داخلي كلما تقدمت في العمر، لكنني كنت قادرًا على كبح جماح الفكرة داخلي، فلم تكن قد تبلورت بعد، بدت فقط مثل سحابة من التفكير تتجمع ثم تنقشع.

حصلتُ على مجموع متوسط في الثانوية العامة، لكن ما بدا غريبًا أنني حصلت في بعض المواد على الدرجات النهائية، وفي بعضها الآخر حصلت على درجة النجاح فقط، ما أثار اندهاش أهلي وغضبهم. كانوا يسألونني بإلحاح، لماذا حصلت على 25 من 50 في الكيمياء، كنت أقول لهم إنني تعرَّضت للظلم، ولم أقل لهم الحقيقة قط، فلم يكن الأمر متعلقًا إلا بحالتي المزاجية، ففي اليوم الذي ذهبت فيه للامتحانات بمزاج رائق حللت الأسئلة بامتياز، وفي اليوم الذي تعكَّر فيه مزاجي حللت الأسئلة لأحصل على درجة النجاح فقط. كنت أعرف الحلول، لكنني لم أكتبها، فمزاجي كان مُعطَّلاً بدرجة لا يمكن تخيُّلها.

حاتم دغيش

بعد فترة من سماعي الأشياء تتكلم بدأت أفهم لغة الجمادات، لم أفهم لغتها على وجه الدقة فلا لغة لها، لكنني فقط بدأت أفهم ما تقول، بدأت أعرف أنها توجه رسائل معينة، فعقب كل رسالة يحدث أمر جلل، تصاعدت في ذهني الفكرة، فبدأت أجلس بجوار الجدران متحسسًا بعدما تأكدت أن لها حياة.

توسَّع الأمر في مخيلتي، صرت أومن أن كل الجمادات لها حياة، لها خريطة معينة، فبمجرد إنشائها من العدم يُرسَم لها قدر، تمامًا كالإنسان. احترت تمامًا، وأخذت أفكر في مصائر الأشياء، وأسمَع ما تقول، وكنت أفرح بشدة لما ألتقط جملة يقولها جدار أو فرع شجرة أو إطار سيارة، ولم أعرف قط كيف يستوعب عقلي الأمر!

لم أعد أتعامل مع الجمادات باعتبارها كائنًا غير حي، وإنما صرت أتعامل معها وفق كينونتها الجديدة التي استوعبتها، فصرت حريصًا جدًا على حمل الأشياء برفق ووضعها برفق، ومع أنني كنت أستغرب بشدة وأستلقي على قفاي ضحكًا من أولئك

المخابيل الذين يكلمون الحيوانات، فإنني صرت أكلم الأشياء، فحينما أحمل شيئًا أكلمه، وعندما أخبط شيئًا في الحجرة فإنني كنت أستميحه عُذرًا.

ذات مرة سقطت محبرة أقلام مني على الأرض، بكت وصرخت، وشعرتُ بها تتألم، وعندما انتهيت من مواساتها فإنها توقفت عن إرسال الإشارات، ولم أعرف إن كان ذلك دلالة على نهاية روحها أم دلالة على أنها تقبَّلت ما فعلت.

تغير إحساسي الداخلي كليًا منذ وقوع هذه الحوادث تباعًا، فعندما اختلفت كينونة الأشياء بالنسبة لي، وباتت حية بعد أن كانت ميتة، تغيرت منظومة إدراكي، فصرت كائنًا آخر، إنسانًا له قدرات خاصة.. هكذا آمنت.

بدأتُ أحاور صديقَي طاهر سعيد وعبد الحميد فتحي، هذين الأديبين المأفونين حول ما توصلت إليه، قلت لهما إن الجمادات تتكلم وإن لها روحًا؛ ذُهِلا، نظرا إلى بعضهما بعض، ولم يستطع أحدهما النطق. حاول عبد الحميد احتواء الموقف، فجرَّني إلى منطقة الأدب، أخذ يُسمِعنا قصة ألَّفها. لا أعرف كيف يحفظ شخص القصص التي يكتبها! لكنه يحفظ دائمًا ما يكتبه؛ له عقل ممتاز، لكنه ضائع في الحياة لأن أحدًا لم يستطع

توظيف عقله، مثلي تمامًا. تزوج في بداية حياته مُدرسة للغة العربية، ثم طلقها، وترك لها ابنه مجبرًا، ومنذ ذلك الحين تغيَّر تمامًا، تزوج بأخرى، لكنه ليس سعيدًا، لماذا؟ أعتقد أن طاقة عقله تُهلكه.

سمعت القصة التي تلاها عبد الحميد، وكأنه يتلو وِردًا، وأنا نصف نائم، فقد كان يقولها للمرة الثلاثين، لا أعرف لماذا يعتز بعض الأدباء بأعمالهم إلى تلك الدرجة؟ ألن يكتبوا غيرها؟ أصررت على مناقشة فكرتي، فطرحتها من جديد، نظر الصديقان بعضهما لبعض مذهولين كأنهما يكرران مشهدًا، غاظني ذلك الأمر بشدة، هل أنا مجنون حتى يفعلا ذلك؟! سألتهما، فأجابا بالنفي، وامتثلا.

قال عبد الحميد إن الفكرة جاءت في ذهن فلاسفة كثر، واستشهد بهيجل وكانط وغيرهما، ثم قال إنه مؤمن مثلي تمامًا بأن روحًا تنبت لأي شيء منذ وجوده في العالم، لكنه قال إن مسألة إرسال الجمادات إشارات مستبعدة. قال إنه يؤمن بوجود الكائنات الفضائية. ثم سألني: هل تؤمن بوجودها؟ فاجأني السؤال. قلت إنني أومن بوجودها منعًا لإثارة الجدل حول هذا

الموضوع التافه. هذه عادة عبد الحميد، تسأله عن أمر فيرد على أمر آخر يفكر هو فيه.

قمت إلى المطبخ. قطعت للأديبين البطاطس وثمرتي شمام كانتا عالقتين في الثلاجة، لكنني كنت أصرخ داخلي غيظًا من نظراتهما التي آلمتني، كانا يسخران مني لما طرحت عليهما أطروحتي، الفكرة ألحَّت عليَّ وأنا أعد لهما الطعام، سأنتقم، وضعت لهما الأكل فأكلا كما يأكل جائعان حقيقيان، وقبل أن يدخلا الحمام قفلت محبس المياه، وقلت لهما إن المياه مقطوعة عن المنزل، واستمتعت بمنظرهما وهما يمسحان أيديهما في ملابسهما.

شريهان يحيى

عندما سألتني الفتاة التي تعمل مسؤولة الموارد البشرية بشركة المواسير، عن معنى اسمي، أحسست بسخافة السؤال ولم أُجِب. قلت لها إنني لا أعرف، مع أنني أعرف. هل يُعقَل أن أقبل بالعمل سكرتيرة وأجيب -إضافة إلى ذلك- على مثل هذه الأسئلة العوراء؟! تركتها ومضيت، وبدا الامتعاض واضحًا، فمشكلتي أن مشاعري تظهر على وجهي، لا أجيد التصنُّع أو حيل الإخفاء.

عاكسني ابن صاحب الشركة، طلب الخروج معي، فرفضت. ألحَّ، فكررت رفضي. سألني إن كنت مرتبطة، فسألته: وما شأنك؟ فاعتبر ردِّي تطاولاً. لماذا يعتبرنا هؤلاء الناس عبيدًا ما دمنا قبلنا بالعمل عند آبائهم؟! لم أتضايق كثيرًا، فالمعاكسات أمر معتاد بالنسبة لي، من خمس إلى ست مرات في اليوم الواحد، في المواصلات والشوارع والحواري والمصاعد والأكشاك والمحال والمكتبات والنوادي، بل والبيوت، فما أن أجلس في شرفة منزلي حتى يطل شاب لا أعرف شكله من شرفة بعيدة جدًا ويُقدِّم

عرضًا من التهويمات غير المفهومة، فأضطر إلى الانسحاب داخل شرنقتي، غرفتي التي أتمنى ألا يخترقها أحد، خصوصًا أمي.

بدأ ابن صاحب الشركة يضايقني بكم غير معقول من التعليقات السخيفة، محاولات دائبة لإحراجي أمام الموظفات الأخريات، يسمح لنفسه بالتعليق على ملابسي ساخرًا. أرد عليه بمنتهى العنف، ولا فائدة. يضم إلى صفوفه أخريات يكرهنني دون سبب معروف، ويحاولون جميعًا مضايقتي وتدميري نفسيًا. أعلم أنها المحاولة الأخيرة لإجباري على الخروج معه، ما الذي يريده مني إذا كنت أبديت له كراهيتي؟! وأي متعة يمكنه الإحساس بها إن صاحبته مع بغضي له؟! لا أعرف كيف يفكر هؤلاء الناس! هل يفكرون أصلاً؟

يدفعني دفعًا لترك العمل. ماذا سأفعل إن تركته؟ سأبحث عن آخر لأظل بمنأى عن مضايقات أمي. بحثت في الجرائد، قلبتها رأسًا على عقب، وضممت إليها مواقع الإنترنت، ثم بدأت الاتصال. فاجأني رجلٌ في اتصالي الأول بصوت حنون، قلت إنه الاختيار الأمثل، ذهبت إليه في المعادي. رجلٌ عجوز، أخذ يكلمني عن إنجازاته ثم ألقى في وجهي بالقنبلة، فقد قال إنه يؤهل الناس للوظائف لكنه لا يوظف أحدًا، قلت له: لكن الإعلان...

فأجابني ضاحكًا: كله لجر رجل الزبون، قلت في نفسي إنني زبون ممتاز، وسحبت نفسي وخرجت.

سبحت في سباب العالم وقرفه. مضيت من مترو لميكروباص، وقفت أمام المحال لإضاعة وقت أكبر قبل العودة إلى المنزل، كانت الساعة العاشرة والنصف عندما اتصلت بي أمي، قالت إنني تأخرت، فقلت لها: أنا في أول الشارع، وعدت لشرنقتي.

اتصل بي صاحب العمل في اليوم التالي. قلت له إنني مريضة ولن آتي قبل أسبوعين، فقال ساخرًا: خير؟! هو حصل حاجة؟! كذبت عليه وأخبرته أنني أعاني نزلة شعبية حادة. قال كلامًا مبعثرًا لم أفهم منه شيئًا، ثم أغلق الخط وهو يقول: ألف سلامة!

عدت إلى العمل بعد انقضاء الأسبوعين، فوجدت فتاة الموارد البشرية تبتسم في وجهي، ثم قالت إنهم أحضروا فتاة جديدة للعمل بدلاً مني. انتظرت للحصول على مستحقاتي، وقبل أن أغادر تذكرت أنني تركت أشياءً لي في المكتب، سألت الفتاة عنها فأجابتني متنمرة: ابن صاحب الشركة تركها لكِ في المطبخ. دخلت فوجدت أشيائي موضوعة في كيس يهزه الهواء فوق لوح رخام يصبون عليه أكواب الشاي والقهوة.

عصام محسن

لا تُصاب الحيوانات بالأمراض النفسية، لأنها لا تفكر، فالفكرة هي التي تتسلط على الإنسان وتصبح أقوى منه، إنها حقيقة مؤكدة. الفكرة المتسلطة لها طاقة تسبب الأذى للمريض، فكل مرض نفسي وراءه سببان: مجموعة من الأفكار الخاطئة، وطاقة غامضة تقف وراء تلك الأفكار، فتدفعها دفعًا، وتشعلها إن ذوت، وترعى نارها إن أوشكت على التحوُّل إلى رماد. الوصول إلى أصل هذه الأفكار هو الحل الوحيد، هذه هي النظرية التي أعمل عليها.

الوصول إلى الفكرة الأم يتطلب مجهودًا خرافيًا. تلال من البحث والعمل، ساعات من تفريغ شرائط الكاسيت وكتابة اليوميات والملاحظات. لديَّ قلم أحمر عريض أضعه على بعض الجمل التي تفيدني كثيرًا للوصول إلى المنبع، منبع الشرور الذي ولَّد المرض النفسي. إنها متاهة، خريطة كبرى، ما أن ينزلق المرء إليها حتى يجد نفسه عاجزًا عن الفكاك. النظرية التي اخترعتها تسيطر على عقلي تمامًا، وتجعلني أهمل أحيانًا سُبل العلاج التقليدي.

أول أمس تشاجرَت معي واحدة من الأهالي، قالت لي إنني أعامل المرضى بطريقة غريبة، وإنني أهمل في علاجهم. ثم ذيَّلت حديثها بقولها إنني أؤلف في الطب النفسي. من قال لها هذه الجملة؟ لا بد أنه المسلمي، لا أعرف لماذا يحاربني! في نفس اليوم أحضر لي إفطارًا، فسألته، فأجابني بقوله إن الأوهام بدأت تسيطر عليَّ، ثم قال لي إن الأمر سينتهي بي أنا نفسي إلى المرض، قالها هامسًا: ستمرض إن ظللت تعمل على أطروحاتك الخرعبلية.

في البداية كنت أسعى لكشف الأفكار الخاطئة عند المريض وتفكيكها، لكنني بعد فترة اكتشفت أن الهدف الحقيقي هو الوصول إلى حقيقة الطاقة الغامضة التي تقف وراء المرض النفسي. في بعض الحالات شعرت أنني قريب للغاية من معرفة مصدر تلك الطاقة الغامضة، لكنني كنت أفقد كل خيوطي في اللحظات الأخيرة.

أحمد هنائي

بعد تخرُّجي من الجامعة بدأت أمي وإخوتي يشعرون بقلق حقيقي مما أقوله وأفعله. قلت مرة لأخي إنني لا بد أن أطمئن على أمي وأختي وهما مسافرتان، بأن أوصلهما للميكروباص الذي ستركبان، فأغرق في الصمت وأشاح بوجهه ثم قال لي: "وهل ستفعل ذلك في كل مرة تخرجان فيها؟"، فقلت له: "نعم.. إنت عارف الميكروباص ممكن يحصل فيه حاجات غريبة!"، فصمت ولم يُعقِّب، لكنه كان مذهولاً.

بعدها بأيام خرجت مع أخي الأكبر، حاول أن يُخرِجني من اعتزالي الحياة في المنزل. في ذلك اليوم بُحت له بأول أسراري، قلت له إنني معروف على نطاق واسع، ثم زدت بقولي: "يسمونني الشبح"، قال لي: "من يسمونك؟!"، قلت له "الناس"، ثم أضفت: "أنت سمعت الشباب كانوا يقولون عني الشبح لما مررنا إلى جوارهم!"، حاول أن يُفهِمني أنني واهم، لكنني كنت موقنًا مما أقول.

حاول أهلي بعدها إدخالي مصحة، لكنني هربت في اللحظات الأخيرة، بعد أن ضربت اثنين من الممرضين، كانا يظنان أنهما سيمسكان بي، لكن هيهات. عدت للمنزل، وأحضرت

سكينًا ووضعته إلى جواري للدفاع عن نفسي إن اقترب أحد مني، فقد بدأت أشعر بالخطر منذ تلك الحادثة المروِّعة.

تقلَّبت في الوظائف، لكنني لم أكن أكمل أسبوعًا في أي وظيفة، أخذتها "كعب داير" على شركات "التايم شير" والعقارات والتليفونات المحمولة، أخذت كتالوجات وبروشورات، وعشرات من دروس التسويق والمبيعات وفترات التدريب، دون أن أستقر على شيء، فلم أكمل مع مجموعات من العاطلين مسيرتي.

صاحبتُ العاطلين الذين قابلتهم في تلك الشركات، شكَّلنا مجتمعًا، التقيتهم في المقاهي، حاول كل منا إيجاد وظائف له وللآخرين، فشلتْ المحاولات جميعها، وبدأ بعضهم يفكر في السفر، ففكرت أن أحذو حذوهم.

أخذت حقيبة ملابسي وسافرت إلى الغردقة، أخذت من ابن عمتي الغني خمسة آلاف جنيه قبل السفر. عملت فرد أمن في فندق ثم تركت العمل بعد فترة. نفَدَت الأموال، فأخذت أبعث لأصدقائي ومعارفي ليرسلوا لي نقودًا بواسطة البريد، كي أُكمِل مشواري، بعضهم أرسل لي مبالغ متناثرة. ثم أخذَت المعونات المالية تقِل حتى اختفت. حتى جاء يوم طلبتُ فيه المدد، ولا أحد أجاب.

سافرتُ الإسكندرية، واتصلت بابن عمتي من هناك، طلبت منه مددًا آخر، لكنني لاحظت أن الفتى كان مُتغيرًا. ما بك يا صالح؟ لا شيء. ظل طوال الجلسة مطرقًا، ثم قال بعد أن أعطاني خمسة آلاف جنيه، ما معناه أنها آخر مرة سيعطيني فيها نقودًا. لكن ما بدا مضحكًا أنه وضع النقود في ظرف. هل فعلتها أمه؟ وضعت له النقود في ظرف وقالت له اعطه المدد الأخير؟ هكذا تخيلت المشهد.

عدت إلى الغردقة، لا ألوي على شيء غير أنني قررت عدم التفريط في نقودي الأخيرة، صمدتُ شهورًا ثلاثة، لكن الفلوس كانت تضيع مني بطريقة عجيبة، ألأني لم أتعب فيها مثلاً؟ لا أعرف، لكنني كنت غير قادر على إيقاف نزيف الأموال من جيبي، تروح مني ولا أعرف فيمَ صرفتها، أحاول التذكر ولا أصل لشيء. كاد هذا الموضوع يصيبني بالجنون، وبدا لي أنني أعيش مهزلة.

في هذه الفترة كان وازعي الديني ينمو، حتى التحقتُ بحلقات تحفيظ القرآن في المساجد، قبل أن ألتقي بالشيخ رائد شمس الدين، في مسجد بطور سيناء. ذهبت إليه مرات بعدما سمعت عن بلاغة الشيخ. كلَّمته عن الجهاد فذُهِل، لكنه عرض عليَّ

بعدها بأسبوعين السفر إلى سوريا للقتال هناك إن كنت أريد، فوافقت وأنا أشعر بأنني وقعت على ضالتي، وأوجدت مهمتي الشريفة من العدم.

ارتحلتُ معه عبر الحدود من الأردن إلى سوريا، كان معي مجموعة من الشباب، بينهم بطل سابق في الملاكمة، وآخر تبدو عليه علامات الثراء الفاضح. لمَ سافر هؤلاء؟ سألت الشيخ، فقال: لأنهم آمنوا بالجهاد مثلك.

في سوريا تلقفتنا الجماعات المسلحة بترحيب بالغ، جرى توزيعنا بشكل عشوائي، أطلقت لحيتي، وأخذت كُنية "أبو بكر"، ثم سكَّنوني بإحدى الفرق المحاربة في وسط سوريا. تعلمت ضرب النار، والتصويب على أهداف ثابتة ومتحركة، عشت مع ضرب النيران ومشاهد الجسارة والبطولة، وبدأت أشعر بالسعادة الحقيقية.

كنت أشعر بسعادة خرافية عندما تلمس يدي الزناد وتُطلِق النار، فلا توجد سعادة في الحياة تُعادِل مثل هذا الإحساس الخارق. أصابتني طريقة عمل الآر بي جي بالهوس، فصرت مهووسًا بدِقَّته وقدرته التدميرية المرِيعة. سألني قائد الفرقة إن كنت متزوجًا أم لا، فأجبت بالنفي، فزوجوني، وبعد شهر واحد من

القتال كنت أنعم مع فتاة أوروبية في الملذة ليلاً، وأعوم مع الأسلحة صباحًا في ميدان المعركة.

قالت لي خديجة، وهي الفتاة التي تزوجتها، إنها كانت تُدعى ماريا قبل رحيلها من إسبانيا إلى سوريا، ثم أبدت استغرابها من لون بشرتي الأبيض، وأفصحت لي عن أنني أُشبِه أبناء قومها، حتى أنها تحتار أحيانًا في ذلك الأمر، كانت مُصِرَّة على أنني أوروبي، ثم حاولت إقناعي بالاعتراف بأنني من أمريكا الجنوبية على الأقل. دعتني للرحيل إلى بلدها بعد نهاية الحرب، ولم أعرف أي حرب تقصد، فأنا أقاتل من أجل الجهاد، والجهاد لا ينتهي. قلت لها ذلك فلم تفهمني، قالت لي: ماذا تعني؟ قلت لها إن المجاهدين يقاتلون دومًا، قالت: وهل سنظل هكذا طوال عمرنا؟ أجبتها: حتى نموت. فأسقط في يدها وارتعدت.

حاتم دغيش

بدأت علاقتي العجيبة بالجمادات تتحول إلى حوار ثنائي، فقد بدأت أكلم الجدران والحوائط والشوارع والبيوت، ثم قلت لنفسي إن الشعراء كلَّموا الأشياء من قديم الأزل في قصائدهم، فأي دليل على أنهم فعلوا ذلك بشكل مجازي؟

لن تستطيع منع نفسك من الكلام إن وجدت شيئًا ما يكلمك. هذا ما اكتشفته، فلم أستطع مواصلة الصمت، ثم تذكرت أولئك الناس الذين يكلمون أنفسهم، وتبادر إلى ذهني أنني لم أُقدِم على هذا السلوك البشري المعتاد قط، وألفيت نفسي مندهشًا، فلماذا أكلم الجمادات الآن؟!

تركت العمل بعد فترة من المقاومة، تركته ثم لم أخبر أحدًا، وقبعت وحيدًا في الشقة التي تركها لي أبي كرامة لروح أمي التي توفيت قبل سنوات. اكتشف أبي بعد أسبوعين أنني تركت العمل؛ تشاجر معي، قلت له إنني لم أعد أحتمل الروتين، قال لي: وماذا ستعمل؟ فوجئت بسؤاله لدرجة أنني لم أنطق، فلم أفكر في هذا الأمر قط.

قفزت في ذهني فكرة الخروج؛ لبست قميصي وبنطلوني اللذين لم أغيرهما منذ سنة، حلقت ذقني كتعويض عن مظهري المزري، وعندما شرعت في وضع قدمي بحذائي اكتشفت ثقبًا بدأ ينمو في صفحة الجلد العليا. ماذا سأفعل؟ لقد تركت العمل، من أين سأحصل على المال لمداراة ثقوبي؟

سألت نفسي السؤال الذي هو بلا إجابة، وأنا أتدحرج على السلم مهرولاً إلى مركز شباب الحلمية. هناك فوجئت أن عبد الحميد ترك عمله في المدرسة الإعدادية. ها هو مدرس لغة عربية آخر يتحول إلى عاطل. شعرت بسعادة غامرة، وأخذت أضحك، فلا سعادة تفوق تشابه النوائب، أن يعزي المرء نفسه بالآخرين. أخذ عبد الحميد يضغط على أسنانه، وهو يشرح لي أنا وطاهر سعيد كيف خطط للقفزة الجديدة قبل أن يُقدِم عليها. قال أيضًا إنه لا يليق أن يضيِّع المرء حياته في وظيفة مثل تعليم طلاب لا طائل من ورائهم. حوَّل طاقته إلى التعالي كما اعتاد، تكبَّر على الأزمة لتصغر في عينه وأعين الناس. محتال كبير وأفَّاق نادر، لكنه لم يأخذ فرصته، لكنه لو أخذها لأشبع الدنيا بمغامراته. قال في نهاية المطاف إنه سيدخل في شراكة مع مجموعة من أصدقائه لشراء ميكروباص يعمل على خط الحدائق – الوايلي، فسكتت ولم أُعقِّب.

سألاني عن السبب وراء الغيبة الطويلة، كانا يقصدان أنني لم أحضر ندوات المركز منذ أسابيع، قلت لهما إنني أمر بأزمة، فسألاني، أخبرتهما بمشاجرتي مع والدي، فقالا: وما الجديد؟ كلنا نعاني بسبب آبائنا! قال طاهر: لا شك أن حياتنا كلها مآسٍ بسبب جيل الآباء.. يقولون جيل الستينيات لديه مشكلة، فما بال جيل السبعينيات؟ ضحكت وقلت له أنا لا أعرف أحدًا أبواه جاءا للدنيا بعد الستينيات، فأطرق وقال ضاحكا: ولا أنا.

قلت قصيدة جديدة في الندوة، تلوتها بكل إحساس، وتفتق ذهني عن فكرة جديدة، وهي أن علاقتي بالجمادات كانت حاضرة منذ زمن طويل، وأنها تطورت فقط، فأي شاعر يفكر في الأشياء الصامتة بمنطق مختلف، من منظور آخر، لكنني كنت متأكدًا أن علاقتي بالجمادات لما تصاعدت جعلت مني شاعرًا أكبر.

تذكرت محمود درويش، وقلت بيني وبين نفسي إن علاقته بالأشياء حرّكت مشروعه الشعري بأكمله، هل كان يتلقَّى الإشارات من الأشياء مثلي، أم كان يتلقاها من عقله؟ قلت لشلة المحتالين ما فكرت فيه، ففتحا فميهما من شدة الانبهار، أُعجَبا بما قلت وكأنني اخترعت اختراعًا. تحمَّس عبد الحميد لما قلت، فمثل هذه الأفكار توقِد الجزء المظلم في عقله، وتدفعه للحديث بلا

توقف، كأنه يعيش على مثل هذه الأحاديث. أخذ يتكلم طوال الليل عن ثنائية درويش والجماد، ومنها إلى ثنائية الشعر والأشياء، والحركة والثبات في الشعر المعاصر. وبدا لي في لحظة ما أنه سيُخرِجِ ورقة وأقلامًا ويكتب دراسة نقدية وهو جالس معنا في مركز الشباب.

سحبتهما معي إلى بيتي في عين شمس، وهناك واصل عبد الحميد ما بدأه، وكان طاهر سعيد يوقد ناره كلما خبت بخبث، فيعود للانطلاق في الكلام، كأنه خُلِق ليتكلم، أو بالع راديو كما يُقال. يحاول عبد الحميد إثبات كونه ناقدًا أدبيًا كلما أتيحت له الفرصة، فما بالي إذا ذكرت محمود درويش معشوقه الأول وحبه الوحيد! أخذ يتلو مقاطع من شعر محمود درويش لإثبات ما قلته عن علاقة الشعراء المتطورة بالأشياء، وكأنه من قال، حتى أنني في لحظة ما ندمت وعزمت على ألا أعود لهذا الذنب مرة أخرى. وزنتك يا وزان الشعراء، فكنت خفيفًا في الميزان. تذكرت قول سان جون بيرس.

شريهان يحيى

عندما كنت في الثانية عشرة استدعاني أبي قبل أن يُطلِّق أمي بأسابيع، قال لي وهو مطرق إنني كبرت، فابتسمت له، مع أنني أكرهه منذ الطفولة. قال لي: "لا بد أن تلبسي الحجاب". فامتعضتُ، قلت بتلقائية: "لا أريد". فعقد حاجبيه وقال: "لماذا؟" أجبته: "لست مقتنعة". كنت أُقلِّد ما أسمعه في برامج التليفزيون والمسلسلات؛ بدأ يغضب، قال: "وما يهم في أن تكوني مقتنعة أو غير مقتنعة؟! أنتِ طفلة صغيرة". في اليوم التالي أحضر قطعة من القماش ووضعها فوق رأسي.

شكَّل حرماني من زينة شعرى أزمة كبرى، شأني في ذلك شأن كل فتيات المدرسة الإعدادي اللواتي كن يحلمن بعالم تهفهف فيه خصلات شعورهن فوق جبين العالم. الفتيات كن يهربن من الحجاب بخصلات شعر يتركنها فوق الجبين، أما المتسيبات منهن فقد جرأن على الخروج من المنزل بالإيشارب ثم خلعه والتسكع مع الصبية. كانت الفتاة منهن تشعر أنها حققت إنجازًا كبيرًا بعد خروجها مع أي فتى مُطلِقة شعرها في وجه العالم.

سألتني زميلتي في الفصل مرة عن شكل فتى أحلامي، فقلت لها: أبيض وبعينين زرقاوين. ولم أعرف إن كنت اخترت هذا الاختيار لأنه كان شائعًا، أم لتعويض لون بشرتي الأسمر وعيني السوداوين وملامحي الشرقية. شيئًا فشيئًا أدركت سذاجة هذا الحلم، وحلمت بفتى يشبه أبطال المسلسلات التركية.

لم يحاول أي من المتسكعين معاكستي، كانوا يعرفونني، ليس لي في لعب العيال هذا، لكن لماذا؟ لم أعرف، يبدو أنني لم أُخلَق لهذا، كنت دائمًا مشغولة بأمور أخرى، محاولاتي للعيش بشكل طبيعي على رأسها.

بعد سنوات من طلاق أبي وأمي، تشاجرت مع أمي بسبب موضوع الحجاب، غاظتني ابنة خالي لما قالت لي إن أباها لم يجبرها عليه كما أجبروني، قالت لي ذلك وهي تحرك شعرها، فاغتظت أكثر. ولَّعت في البيت حريقًا كما يُقال، قلت لأمي إن أحدًا لم يأخذ رأيي قبل إلباسي الحجاب عنوة. حمَّلتها المسؤولية، فقالت وهي تدافع عن نفسها: "وما ذنبي أنا؟!"، أجبتها: "لم تأخذي صفي"، ردت مذهولة: "كنتِ أصغر من أن يأخذ أحدٌ صفك". خضنا جولات من الجدل العقيم، ثم قالت لي في النهاية بعد أن ملَّت مني: "لو أنكِ تريدين خلعه اخلعيه"، غير أنني لم

أجرؤ. خدعت نفسي، قلت أنا في الجامعة، وزميلاتي المتبرجات بدأن يلبسنه، فماذا سيكون شكلي إذا خلعته؟

في الجامعة عرض عليَّ شاب الارتباط لأول مرة، كنت في الفرقة الثالثة، أطلع الأولى على الدفعة كل عام وأحوالي مستقرة، حتى جاء ذلك الصبي، بدأ يشاغلني بالأساليب المعتادة، أحسست أن به شيئًا مختلفًا، لكنني اكتشفت بعدها أنني واهمة. كان وسيمًا للغاية، يلبس أطواقًا من القماش على رقبته دائمًا دون سبب معروف. طلب مني خلع الحجاب ليرى شعري، فزهدت علاقتي به لتفاهة طلبه.

لم يكن أبي راضيًا عن طريقة لبسي، فقد كنت ألبس على الموضة، أما أمي فلم يكن لها موقف، أهدرت أموالها على البلوزات والبنطلونات الجينز التي حذرني أبي مرارًا من لبسها. قال إنها تسبب متاعب في منطقة الحوض، وتضغط على المناطق الحساسة بشكل يؤثر على الهرمونات. قال لي هذا في اجتماع عائلي ثنائي كنا نعقده في فترة لأخرى في أحد المقاهي. كنت أحسه غريبًا عني، لما أجلس أمامه ينظر إليَّ مطوَّلاً دون أن يتكلم، ما الذي يريده هذا الرجل؟! كان يدفع الحساب وهو ممتعض، فقد كان بخيلاً بدرجة لا توصف.

يقول لي الجمل كأنه يحفظها: "ما أخبارك؟"، "الحمد لله" أرد عليه. يسأل: "ما أخبارك مع الوالدة؟"، أقول له: "تمام". لا يسأل عن إخوتي الاثنين وكأنهما ليسا ابنيه، لا يفعل أي شيء بَنَّاء في الجلسة السخيفة، يكلمني في موضوعات لا تهمني، يكلمني عن عمله مثلاً وكأنني خطيبته، يبوح لي بأسرار صراعه مع أمه العجوز، ينقل لي صورة كاملة عن بؤسه وحياته التعيسة وصحته المتدهورة، وكأن البؤس ينقصني وهو يعطيني كفايتي منه.

أقوم من الجلسة مُحمَّلة بالمشاعر السلبية والصداع، أدخل أي صيدلية، أشتري مسكنات، وأظل طوال الطريق أتذكر ما قاله: "أنا غير راضٍ عن لبسك"، "كل الفتيات يلبسن هكذا"، "لماذا تلبسين البناطيل؟"، "وماذا ألبس؟"، "حاجات واسعة"، ثم يصطنع صدق المشاعر ويقول لي: "أنا أخاف عليكِ، الذئاب البشرية ترتع في الشوارع وأنتِ صغيرة يا ابنتي"، يقول كلمة ابنتي فلا أصدقها، فأنا أشعر بصدق أنه ليس أبي.

صرت ألبس له الملابس الواسعة في مقابلاتنا التي لم أعرف لها سببًا، ولما أخرج وحدي ألبس ما أريد.. أضع الإيشارب الذي يحيرني فوق رأسي، أغير ربطته كل مرة كي أبدو متجددة، وألبس بلوزه طويلة ساترة، وتحتها بنطلون جينز أتفنن في اختياره ليكون

على أحدث موضة، ثم أضع اللمسة الأخيرة بإضافة حركة شيطانية من حركات فتيات هذه الأيام، فألف الإيشارب حول رقبتي وأُظهِر جزءًا من صدري، أو أختار بلوزة ضيقة أو قصيرة، أو أُخرِج شعرات من رأسي وكأنها خرجت عفوًا، أضع مقدارًا خفيفًا جدًا من الماكياج، وأنطلق، أخرج إلى العالم، وأحلم بالضياع فيه أو الخلاص منه.

عصام محسن

بدأت أندمج مع قصص المرضى، وأعيد صياغتها، أهتم بالحبكة والتعاقب الزمني وخط سير الأحداث، فهمت ما لم أفهمه طوال فترة دراستي في كلية الطب، الملاحظات الجانبية التي كنت أكتبها أحيانًا أرشدتني إلى طرق جديدة.

عندما وصلت لهذه المرحلة قتلني الاستغراب من داخلي، لأن الأطباء الآخرين لا يفعلون ما أفعل. استدعيت صورة الطبيب النفسي في أمريكا وأوروبا، وتخيلت أنني أمضي على المنهج الغربي، ثم فكرت بوعي أن أقول ذلك للمسلمي، الذي باغتني وأنا أكتب قصص المرضى، بادرته: "إنت عارف؟ أنا أطبق المنهج الغربي في العلاج"، فوجئ بما قلته، وعقد حاجبيه ثم قال: "أنا كلمتك؟!"، لكنه بعد سكوت قصير استدرك نفسه. أحس أنه هُزِم في معركته أو أنني أردت التعالي عليه، فرد الإهانة بالسخرية، قال لي: "وأنت تعلمت المنهج الغربي في السوربون مثلاً؟!"، لم أتوقع مثل هذا الرد، فارتبكت ثم قلت: "لا.. أنا أحاول التعلم طوال الوقت"، فكرت أن أقول له إنني أطَّلع على الأبحاث الأجنبية، لكنني خفت، خفت أن يقول للمدير فأذهب وراء الشمس.

اطَّلعت على أوراق التشخيص، وأعدت القراءة من جديد.

أحمد هنائي: اضطراب ثنائي القطب مع ضلالات وهلاوس سمعية وبصرية، مع ميل للعزلة وأعراض اكتئابية وانسحابية، تفضي بالمريض أحيانًا إلى إهمال مظهره، مع رفض قاطع لتعاطي الأدوية مهما بلغت حالته سوءًا.

حاتم دغيش: فصام ذهاني حاد، أفضى إلى ضلالات في المعتقد، شمل الأعراض الشائعة، مثل الوهم واضطراب الفكر والهلوسة السمعية، بالإضافة إلى انخفاض المشاركة الاجتماعية والتعبير العاطفي وانعدام الإرادة، واضطراب القلق والاضطراب الاكتئابي.

شريهان حمدي: اكتئاب حاد مع أعراض انسحابية من المجتمع، أفضت إلى متاعب عضوية، منها الشكوى من اعتلالات جسدية غير موجودة، مع تزايد الإحساس بالاغتراب والعزلة عن المجتمع، يصاحب حالتها أحيانًا رغبة في إيذاء النفس عن طريق استخدام آلات حادة.

كنت أضع هذا على ذلك، أدمج القصة في عقدتها، وأتابع الحالة التي تتجاوز التشخيص، وتتحسن كثيرًا كلما كتب المريض

عن حالته. أتسلم تلك الوريقات أحيانًا منهم، بعضها يكون مشطبًا بالقلم، مع بعض الكلمات غير الواضحة التي أستنتج أغلبها، لكنني في النهاية أصل إلى نتيجة، نص مكتمل عن كل منهم، يفسر وحده أسباب المرض ويفضي إلى طرق النجاة.

شريهان تكتب بشكل جيد، أفكارها مترابطة جدًا، تملك موهبة أدبية واضحة، يأتي بعدها حاتم دغيش الذي يكتب بعض الفقرات بشاعرية واضحة، أما أحمد هنائي فهو أقلهم قدرة على التعبير، لكنه أصدقهم، مع مراعاة أن النصوص التي قرأتها لهم هي الأكثر صدقًا، فلم أقرأ في حياتي نصوصًا بهذه الشفافية، فالأصحاء لا يمكنهم أبدًا الكتابة بهذا الصدق، لأن العقل الواعي لديهم يُنقِّي الشوائب، ويظهرهم عند أنفسهم ولدى الآخرين بطريقة أفضل كثيرًا مما هم عليه.

أحمد هنائي

ثأثأت ماريا، المرأة الإسبانية التي تزوجتها في غفلة من الزمن. للنساء الأجنبيات أجساد مختلفة، مشدودة كالأوتار، لا ترتخي أبدًا، ولا تسمن، ثم أنهن إذا أردن التكلم يهيئن أنفسهن، لا يقلن أي شيء. لكن ماريا كانت منزعجة في هذا اليوم؛ وقفت فوق رأسي، وهي التي لم تقف فوق رأسي قط منذ رأيت وجهها. قمت من نومي، فأشارت إلى الباب، حيث وقف رجل، ثم أعطاني منشورًا، ورقة مكتوبة بخط اليد. "لقد قرروا إبعادي"، قلت الكلمات الثلاث لماريا، ثم أسلمت جسدي للرجل، وسمعت بكاءها وأنا أرحل.

جاء في قرار الإبعاد أنني ارتكبت أخطاء تثبت نقص كفاءتي الذهنية. ما معنى ما يحدث؟ لم أفهم شيئًا، فلا يوجد أحد أكلمه، وضعوني مع خمسة من المستبعدين في سيارة من سيارات الدفع الرباعي، ثم ألقونا في سيناء، في منطقة قرب العريش، وهناك افترقنا، لكن ما بدا مدهشًا أن رفاقي الأربعة كانوا حزانى كأنهم يُساقون إلى الموت وهم ينظرون، حتى إنني سمعت واحدًا منهم

يبكي بكاءً مُرًّا، ثم فكرت أن الموقف يدعو للبكاء، فقد كانوا يعطوننا أموالاً ونساء، هل سنعود إلى الواقع المر إذًا؟

وقفت حائرًا في نويبع، فلم يكن لديَّ خطة، وعندما لا تكون لديّ خطة فإنني أهيم على وجهي، ظللت هائمًا ثلاثة أيام، أرتاح قليلاً وأنتقل بالميكروباصات قليلاً، وأمشي طويلاً، حتى وجدت نفسي في استراحة وسط صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء، شربت كميات هائلة من الماء، ولم أدرِ لمَ استعدت خلال هذه الرحلة فكرة التيه الذي كُتِب على كل من مروا بشبه الجزيرة، بداية من اليهود، وحتى الجيش الذي عاد ماشيًا بعد نكسة 1967، وبدت لي بطولة الفريق سعد الدين الشاذلي مُجسَّدة، وهو الذي عاد بكتيبة دون أن يمسسها الضرر، كيف فعلها؟! أنا مواطن واحد محمل بالأموال، ولا أعرف كيف أخرج من تيهي في سيناء!

سألت شابًا وقف يبيع أشياء لم أميزها في الاستراحة، عن أقرب مكان مأهول بالسكان، فقال لي طور سيناء، فذهلت لأنني قطعت عشرات الكيلومترات تائهًا، سألته عن الطريق المؤدي للمدينة، فوصف لي وصفًا عقَّد الأمور أكثر مما شرحها، كما هي وصفات جميع المصريين، وقفت حائرًا، لكنني يممت

وجهي شطر ما قاله لي ذلك الفتى البائس، وأكملت رحلتي الضائعة.

وصلت طور سيناء بعد ثلاثة أيام من التهويم في الفضاء الأرضي. عندما يحل المساء أنام في أي فندق صغير، وبعض الكبائن الصغيرة التي لا أعرف مَن أنشأها، أسأل الناس عن طريق فيجيبونني إجابات متضاربة، فأتوه مرة أخرى، لكنني عمومًا أحب فكرة التهويم في أماكن لا أعرفها، أحس أنني أعيد اكتشاف ذاتي وتحديد علاقاتي بالأشياء والظواهر والمكان، بل والزمن، عندما أركب سيارة أو ميكروباصًا ينقطع كل شيء، وعندما أرقد فوق فراش أحس أيضًا بالسعادة، لكن مسيرتي نحو اكتشاف نفسي والعالم تنقطع، لا تتقد إلا عندما أكون هائمًا في الطرقات، ماشيًا على قدمي.

وصلت طور سيناء أخيرًا. مدينة صغيرة، مليئة بالمساكن الشعبية التي تشبه بعضها، وبيوت تختلف في هيئتها، لكنها جميعًا منخفضة، فلا تعلو البيوت فوق خمسة أدوار. الناس هناك يرون السماء والنجوم كما لا نراها، لكن عددهم قليل بشكل ملفت للنظر، حتى أنني سألت عن التعداد السكاني، وهو ما بدا غريبًا، فسمعت أيضًا أقوالاً متضاربة.

لكنني –والحق يقال– منذ دخلت تلك المدينة شعرت بسلام نفسي هائل لم أشعر به طيلة حياتي، ولم أتخيل أن أشعر به. ثم قال الناس لى إن نبي الله موسي –عليه السلام– مر من هذه البقعة، ثم حكوا لي حكايات متداخلة عن رحلات للأنبياء والشخصيات المقدسة، كانوا يريدون قول شيء واحد، وهي أنني هبطت بمكان مقدس، وهو ما كنت أحتاج إليه. عندها قررت الاستقرار في طور سيناء، فرششت دولاراتي واستأجرت منزلاً بتراب الفلوس كما يقولون، وأخذت مفاتيح شقة واسعة في وسط المدينة، ثم فوجئت أنها مفروشة، فقررت الاستقرار في المنطقة التي اختارها لي القدر.

حاتم دغيش

عندما صحوت من نومي بعد ليلة ثقيلة، وجدت أربعة رجال يجلسون حولي على السرير، ظننت أنني أحلم. ابتسم واحد منهم في وجهي ثم دسَّ سِن حقنة في ذراعي، فغِبت عن الوعي، صرت أرى العالم مشوَّشًا، لدرجة أنني ضحكت وأنا أغيب عن العالم، وأرى الستائر السوداء وهي تُسدَل أمام عيني، ولما أفقت من غيبوبتي وجدت نفسي في مَصحة.

سألني الطبيب بضعة أسئلة، فلم أرد، وبدأت أنا أسأل: ما الذي أتى بي إلى هنا؟ أسأله فلا يرد، أُعدِّل السؤال: من الذي أتى بي إلى هنا؟ لا يرد. ما هي المؤامرة التي يتآمرها الناس عليَّ؟ ومن هم المتآمرون؟ وإذا كانوا يتآمرون فلماذا؟ أنا لا أعرف أحدًا، وليس لي أصدقاء سوى اثنين فقط، وليس لي أعداء ولا أحقاد وظيفية على أحد، لأنني لا أعمل، فمن يفعل ذلك بي؟! لا أصدق أنه أبي! مستحيل! لقد تشاجرت معه، لكن ذلك ليس مبررًا ليفعل بي هذا، شعرت للمرة الأولى في حياتي أنني من المغدورين. حزنت بشدة، وبكيت بكاء مُرًّا.

أعطوني حقنة ثانية بالقوة، بعدما اندمجت في حالة هياج شديدة، ثم نمت حتى لم أعد قادرًا على تمييز النوم من الاستيقاظ. خرجتُ أسأل عن السبب في وجودي في هذا المكان، ثم طلبت من رجال يحومون حولي كالجراد أن يخبروني بإجابة سؤال واحد: أين أنا الآن؟ قال لي واحد منهم يُدعَى سيد، إنني في مصحة بمصر الجديدة. ما الذي أتى بي إلى هنا؟ لا أعرف. قالها ثم نظر لي بلا اكتراث ومضى. لماذا يعاملني هؤلاء الهوام هكذا؟!

كدت أُجن، لوجودي في مكان لا أعرف سببًا لوجودي فيه، أنام في غرفة مربعة بها أربعة أسِرَّة، يجلس عليها شباب، واحد منهم يحدق للسقف طوال الوقت، والآخر يُحدِّق في، والثالث يحدق فينا نحن الاثنين. أجلس وأقوم وأقعد دون أن يتحرك شيء، وأفاجأ أن هناك من ترك لي مبلغًا من المال، خمسمائة جنيه، من فعل هذا بي؟! وكيف يحدث ذلك في العموم؟! وهل يمكن لأي كان أن يرسل زميله أو صديقه أو قريبه إلى الجحيم؟! أنا أوضع في قفص مثل الأفراخ؟! هل سيجرون عليَّ تحاليل وفحوصات؟! هل سيعتبرونني فأر تجارب؟! أدور كالنحلة في الغرفة المقفولة، أخبط بيدي على الجدران ولا أحد يسمعني. تُستَنفَذ طاقتي فأخمد فوق السرير الذي خصصوه لي. أتحوَّل إلى فرخة، فأر موضوع في

مصيدة. أنام حزينًا وكابيًا، وأصحو حزينًا وكابيًا، وأمضي في الغرفة حزينًا وكابيًا، فلم أعد أرفع رأسي مجسِّدًا كبرياء الشعراء، كم كنت متكبرًا حين كنت خارج القفص! تسقط هذا الجملة في أعماق نفسي، وأنام.

شريهان يحيى

بعدما حاصرني الفشل من كل اتجاه، خضت إحدى الدورات التدريبية لتعليم الحاسوب، كانت متطورة جدًا، لدرجة أنني لم أفهم منها شيئًا في النهاية، لكنني خرجت منها بشيء مختلف، فقد أحببت المحاضر. ولما كان الحصول على الشهادة يقتضي إنجاز مشروع، فقد لجأت لأحمد، بعدما أعطاني عم سامي كبير المدربين صكا، لأكون تلميذة نجيبة لذلك الشاب الذي أبهرتني قدرته على الربط وتحليل الأمور.

لكنني بيني وبين نفسي لم أكن راضية عن مظهره، كان فيه شيء من البساطة المفرطة والإهمال، لا أعرف، هل كان بهذه الصورة لأنه إنسان عملي؟ رجَّحت ذلك في النهاية، غير أنني لم أكن متأكدة، وعمومًا فلم تكن تلك التفصيلة ذات أهمية قصوى، فقد كان هناك خيط قوي يجذبني إليه، خيطٌ أقوى من أي خيط مر عليَّ طيلة حياتي.

بدأت مقابلاتنا تزيد على شرف المشروع، الذي جعلني أتسكَّع معه حتى أنصاف الليالي في وسط البلد. سعادتي زادت بقربه، وما زاد سعادتي أنني شعرت بمبادلته إياي المشاعر، فرحت

فرحة حقيقية لم أشعر بها منذ زمن، ثم قررت التخلص من مدحت، وهو شاب فرض نفسه عليَّ منذ بدأت التسكع في قاع المدينة.

كان مدحت قد صارحني بمشاعره قبل شهر تقريبًا، وكنت مترددة. كان يطاردني بطريقة تعجبني، ويشتري لي هدايا، ويتصرف معي بطريقة تعجبني أحيانًا، فيها لفتات تشبه ما يحدث في الأفلام، مغلفة بالرجولة المصطنعة التي تقوم فكرتها على البذل بلا مقابل، كما هي حال معظم فتيان وسط البلد.

جلس معي أحمد لإنجاز المشروع في أحد مكاتب الكومبيوتر، فاتصل مدحت، لم أرد؛ كلمني على الواتس آب، اضطررت للرد، قال لي إنه يريدني في موضوع مهم، أعرف ما سيقول، سيقول إنه يحبني، لا أريد لهذا أن يحدث. أخذ يلح، فوعدته بأنني سألاقيه في كافيه كونيست. مضت الدقائق، وفي العاشرة والنصف مساء لم يعد يمكنني السيطرة على الموقف. اتصل بي، فقلت له: "سآتي"، كلمة واحدة ورد مبتسر. كنت خائفة من زعل أحمد أو خائفة منه، لم أستطع التحديد. نزلت، وقلت له إنني سأعود بعد ساعة، فهز رأسه ببروده المعتاد.

لم أعد بعد ساعة، فاتصل أحمد. قال لي إنه أنجز جزءًا في المشروع. قلت له إنني في كافيه كونيست. جاءني، سلم على مدحت الذي كان يدخن سيجارة لفَّها بيديه أمامي قبل ثوانٍ. كان الجو معبأ بالدراما، لكن مدحت أكل الجو بحركات أبناء وسط البلد. وسَّع للشاب الوسيم مكانه، وجلس كأنه سوف يتعلم منه. توترنا قليلاً، ثم انتهى كل شيء عندما طلبت منهما أن ننصرف، فنفخا من أعماق صدريهما وكأنني اتخذت قرارًا بالإفراج عنهما من سجن وضيع.

لما خرجنا لطمنا هواء الربيع الحاد، ثم أقدم مدحت على حركة لم أكن أريدها، استوقفني، ثم اقترب مني، ووضع زجاجة ماء في حقيبة ظهر كنت أحملها. حركة صغيرة لكنها موحية، كان يريد الإيحاء لأحمد بأنه مقرب مني، وقد نجح، لكنه لم يفسد الأجواء. وصلنا إلى محطة الإسعاف، عندها تركنا أحمد للمترو وذهبنا.

زادت مكالمات مدحت لما بدأ عقلي يتعلق بأحمد، وكلما زادت شعرت بسخافتها، وبالانجذاب إلى أحمد المحايد للغاية. كان ثقيلاً بشكل لم أعهده، وفكرت أن ثِقله يجذبني إليه أكثر. انتهى المشروع، لكنني أوقدت حجة أخرى لمد علاقتي به، فأخذت

أستشيره في حكايات حياتي الجانبية، والحقيقة أنني كنت أحكي له أدق تفاصيل يومي بضمير، كنت أشعر بأمان غير عادي لما أفعل، ويصادفني ارتياح غير معقول لما أحكي له قصة، فمهما كانت تافهة، كانت توجدني من العدم، وتبعثني من التراب كالعنقاء، إذ يلفها قدر الحياة من جديد.

لكنه لم يكن يفعل ما يفعله الآخرون، فلم يطاردني بالاتصالات مثلما يفعلون، كان مقتصدًا، يفعل كل شيء بالقطارة، فيفسد ما يفعله وينزعه من معناه. سافر إلى منطقة نائية في رحلة عمل، فوجدت نفسي أطارده، اتصلت به فوجدت هاتفه مغلقًا، ما الذي حدث؟ أخذت أهري وأنكت في نفسي، قلقت عليه فعلاً، وبدا لى أنني لم أشعر هذا الشعور من قبل.

كان نائمًا، فصحا من نومه في اليوم التالي واتصل بي، استقبلت مكالمته بلهفة، وحكيت له ما حصل في الأربعة والعشرين الساعة الماضية، وكان واضحًا أنني أردت الاتصال به لأحكي، فعندما أغلقت معه الخط، ألفيت نفسي سعيدة، ثم داهمني شعور آخر، وهو أن ثقلاً قد أزيح عن ظهري لما حكيت له، وكأنني لا أتحقق إلا إذا ألقيت بتفاصيلي في أذنه.

لما عاد بدأ يواعدني في الكافيهات. صارت مكالماتنا يومية، بدأت أمي تسألني وأجيب عليها بإجابات متضاربة كما تفعل معظم الفتيات، لم أكن أريد أن تعرف. التقينا عشرات المرات، حكيت له عن الرجل الذي حاول استدراجي للعمل عنده لأغراض جنسية، وذلك الرجل الذي أعطاني كارتًا وطلبني للعمل عنده لما قابلني في دورة تدريبية، ثم قلت له: "هل أذهب؟"، وبدا أنني أستأذن منه، قال لي: "شركته في أي مكان؟"، قلت له: "في التجمع الخامس"، فقال: "روحي". تلقيت كلمته كأنها أمر وشعرت بالارتياح، وتوقف عقلي عن التفكير في الأمر، فقد أخذت تصريحًا منه بالذهاب لمقابلة رجل الأعمال.

في التجمع الخامس، استقبلني رجل الأعمال في شركته، وهو يضع سيجارًا في فمه. كان واضحًا أنه أعد العُدَّة لاستقبالي، فقد أشعل البخور، وشغل الموسيقى الكلاسيكية، وأنزل الستائر، وأضاء أقل نسبة إضاءة ممكنة، وقد كان ناقصًا أن يطلب لنا العشاء ويشعل الشموع.

قال لي الرجل الذي بلغ الخمسين قبل سنوات، إنه معجب بذكائي وجمالي، ثم أخرج علبة سجائر أمريكية، عزم عليَّ بسيجارة، فلم آخذها. قال لي إنه يلتقط الموهبة منذ أن يراها

للمرة الأولى، وقد التقط موهبتي، ثم عرض عليَّ العمل في شركة المقاولات التي يملكها. قال لي إن الألماس والذهب سيكونان تحت قدمي، وعرض إهدائي شقة من الشقق التي يبنيها، قال: "لو بابا محتاج شقة أنا رقبتي سدادة"، وقد استغربت من حَشر أبي في الحوار، وشعرت بالضيق.

حاول إبهاري بمائة طريقة خلال جلستنا، التي استمرت ساعتين، قال أشياء غريبة، منها أن النظام الاقتصادي العالمي سينهار، وأن المعاملات النقدية ستختفي في القريب العاجل، فسوف يحارب الناس حربهم الاقتصادية باستخدام الكروت الممغنطة، قبل عودة نظام المقايضة. هذا ما تنبَّأ به صاحب شركة المقاولات الذي أعجبته موهبتي.

لما خرجت من مكتبه، كلمت أحمد، حكيت له ما حدث بالتفصيل، وضربت معه موعدًا في اليوم التالي. لاحظت أنني صرت أقول جُملاً لم أتوقع أن تخرج مني، وأنا الفتاة التي عافت الرجال طوال عمرها، فقد أصبحت أقول له: "أشوفك بكرة"، وجمل الأفلام هذه. وهكذا صارت حياتي مُعلَّقة بإنسان آخر للمرة الأولى منذ ولادتي، فحتى أمي لم أذكر أنني تعلقت بها.

عصام محسن

طلب الدكتور ممتاز مدير المستشفى الاجتماع بي، قال لي في غرفة مغلقة إنني على وشك الضياع، ثم أفصح عما ظنه سرًا: "أنت مريض يا عصام، لديك متلازمة الاندماج في تفاصيل الشخصيات التي تعالجها". فلم أُعقِّب، ظللت صامتًا. هل وصلت الأمور إلى تلك الدرجة؟ تتهمني هكذا علنًا جهارًا نهارًا؟! فماذا قلت إذًا للمسلمي؟ ثم هل قلت للممرضين الذين يمرحون حولك؟ دار السؤال في ذهني، غير أنني لم ألفظه.

قال لي: "أنت الآن لا تشعر بشيء، لكنني أشعر، تدريجيًا وشيئًا فشيئًا فإنك تندمج في قصص المرضى، وتهمل العلاج، تُنحِّيه جانبًا، بعد فترة لن تكون مهتمًا على الإطلاق بالعلاج، لذلك ننصح الأطباء النفسيين دائمًا بعدم الاندماج العاطفي في قصص المرضى، لكنك اندمجت عاطفيًا".

واصل حديثه: "أنت الآن تحوَّلت إلى كاتب للقصص، صرت مندمجًا عاطفيًا، توهِم نفسك بأنك تعالج بطريقة جديدة، مع أن هذا لا يحدث. رغبتك في الفوز بأسلوب جديد تجعلك مُصرًّا على استكمال ما بدأت، لكن عليَّ أن أحذرك، أنت تسقط في

القاع، تسعى وراء مجد شخصي، تريد إثبات شيء لنفسك وللعالم، تريد أن تُسجِّل تلك الطريقة باسمك، ليتحوَّل الأطباء النفسيين حول العالم إلى مجموعة من الناس الذين يتحركون في المستشفيات والعيادات محملين بأوراق وأقلام وأجهزة تسجيل، ثم يعيدون كتابة قصص المرضى، ليتحولوا بعد ذلك إلى ماذا؟ مؤلفين مثلاً؟ إذا كنت تريد أن تكون مؤلفًا، فلا علاقة للمرضى بما يحدث".

قال لي: "أدق لك الآن ناقوس الخطر الأخير، فقدماك تغرزان في الرمال، وبعد فترة ليست بالطويلة ستفقد السيطرة، وستتحول إلى واحد منهم، وستُقدِم على تصرفات عجيبة، ستصبح واحدًا من المرضى. الحالة معروفة، ومسجلة في عدد من الدوريات العلمية، أقول لك ذلك لأحذرك التحذير الأخير".

أحمد هنائي

أنزل الشارع كل يوم بحثًا عن شيء غامض، أصعد جبل الطور، وأدمن تلك العادة، فتصبح عادة يومية، كم هو صعود مريح! بعد فترة صرت أقول لنفسي هكذا وأبتسم، وأنا صاعد إلى موطئ أقدام النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا.

أفاجأ أن عددًا من الرهبان المسيحيين مروا أيضًا بالمنطقة. أصعد جبل سانت كاترين أيضًا، وأشعر أيضًا بإحساس مختلف، شعور بالقداسة، لكنني بحكم انتماءاتي الفكرية الجديدة أنكر الفكرة، أنكرها على نفسي فقط، لكنني أحس بما أحس به، وهل يملك الإنسان تعطيل إحساسه؟!

بعد فترة من صعود الجبال، أتعلق بصعودها، ثم أتعلق بفكرة الصعود ذاتها، وأقول لنفسي وللآخرين إن من لم يصعد جبلاً ذات يوم فإنه لم يعرف المتعة قط، يقول لي رجل: وماذا عن متعة الجنس؟ فأقول له إن صعود الجبال ممتع أكثر، ثم تنحني في رأسي فكرة تربط المتعة المترتبة على صعود الجبال والجنس، أحس أنهما متشابهتان، المتعتان متشابهتان إلى حد موغل في الغرابة، أقول

للرجل متفاخرًا إنني جربت النساء الأجنبيات. ألقي في وجهه قنبلتي، أقول له إنني كنت متزوجًا من إسبانية؛ يندهش الرجل الاندهاش المعتاد من المصريين عند سماع تلك الأخبار، وأشعر بالنشوة لأن جملتي آتت أُكُلها وحرَّكت الأثر الذي توقعته. أحس بعدها الشعور المعتاد أيضًا، لقد بات الرجل يحترمني أضعافًا مضاعفة، كل ذلك لأنني قلت له إنني تزوجت إسبانية.

يسألني السؤال المعتاد، وأحس أن فيلمًا يدور في رأسي من طغيان المعتاد وغياب المفاجآت، يقول لي: وما أخبار الإسبانيات في الجنس؟ ويبين لي أنه منبهر، يفتح عينيه على آخرهما، أبدأ في التفلسف، فقد جاءتني فرصتي. كان الرجل في الحادية والأربعين وله وجه يشبه وجوه الفراعنة، ويبدو أريبًا محبًا للحياة. ما الذي أتى بك إلى سيناء يا عم الحاج؟ سألت في نفسي، ثم اكتشفت أن الإجابة هي: "نفس ما أتى بك"، فعدد كبير ممن يعيشون في سيناء أتوا إليها من محافظات أخرى دون سبب واضح.

أقول له ببطء وتؤدَّة، وكأنني أتلقَّى الأخبار عبر أثير فضائي أن ممارسة الجنس مع الإسبانيات لها طابع مختلف دون شك. يبتسم الرجل، فقد لاقت الجملة هوى عنده، فقد كان متأكدًا في داخله مما أقول على ما يبدو. يسألني وهو مبهور كأنه عاد طفلاً

في الخامسة: "في أي شيء؟"، فأقول له إن ممارسة الجنس مع الأجنبيات ليست عَرَضًا كما هي في بلادنا، بل عادة، عادة يومية، شيء عادي. أقول له إن المرأة الإسبانية كلما نِمت معها أحسست أنها بِكر، وكأنك لم تنم معها من قبل، لا تُستَهلك ولا تفنى ولا تُستَحدث من العدم، كما تقول قوانين الفيزياء. أزيد الجزء الأخير باعتباره دعابة، فيضحك الرجل، هل درس الفيزياء مثلي في الثانوية العامة؟

كلما صعدت إلى الجبل أشعر أنني أتصاعد وكأنني هواء، دخان نفثه رجل ثم تركه ولم يلقِ له بالاً، يُغيِّر ذلك إحساسي الداخلي، يصيبني بالحسرة على الأيام الفائتة التي ضاعت مني بلا جبال، وعند مرحلة معينة أفكر أنني لم أعد أريد الحياة على الأرض، فأنا أريد السكن فوق الجبل.

أقولها للرجل الذي يصعد معي الجبل كل يوم، رجل الحادية والأربعين، يرد عليَّ وهو نصف متفاجئ أنه هو الآخر يحلم بهذا، وأشعر أنه سيبكي، وأنه في هذه اللحظة دون غيرها بات صديقًا، صديقًا حقيقيًا، أبدأ في بناء الحلم على قاعدة ثنائية، ثم أسأله: ولماذا نتخيل أنه حلم صعب؟ ولماذا نتخيل عمومًا أن الأحلام صعبة؟ أقول له إن زوجتي الإسبانية التي هرى رأسي أسئلة من

نوع: لماذا تركتها؟ وكيف؟ ولماذا؟ وأين؟ كانت تقول لي: "ما هي أمنيتك؟"، فأقول لها "أن أعمل في ناسا". تفهم أنني أهزأ، تقول لي: "هل تعلم كيف يفكر شاب عندنا في مثل حلم كهذا؟ يدخل موقع ناسا ويراسلهم، إنها البوابة، أما أنتم فتتعاملون مع الأحلام على أنها افتراضات خيالية. هذا أول ما عرفته عن ثقافتكم عندما قدمت إلى أراضيكم".

قلت لها في هذا اليوم وأنا مندهش إن ما تقوله صحيح، وكنت أشعر بالأسف على ما فاتني من أحلام بنفس الطريقة التي ساقتها. قالت لي إن الناس يسألونها باندهاش كيف تركت بيتها في إسبانيا وأقدمت على الذهاب إلى سوريا، مع أنها ترى الأمر عاديًا جدًا، قالت لي: "أرد عليهم بأن ما فعلته أمر عادي، فكرت في الموضوع ثم نفَّذته. هكذا نفكر في الغرب، ليست لدينا أحلام مؤجلة ولا مكبوتة".

حاتم دغيش

خرجت من المصحة ذات صباح بعد أن قالوا لي إن فلوسي الموجودة في الإدارة والكانتين انتهت، ولم يعد يمكنني الإقامة، سألتهم للمرة المليون من أحضرني إلى هنا، ولم يجب أحد.

لم أكن أعرف عدد الأيام التي مرت عليَّ وأنا في الداخل، "جوه" كما يقول نزلاء المصحة وكأنهم في السجن. كل ما كنت أشعر به أنني عشت الأيام الماضية في الظلام، لذا فقد أحسست ضوء الشمس وكأنه غريب، فعيناي أخذتا فترة طويلة حتى اعتادتا أشعة الشمس. استوقفت رجلاً في الشارع وسألته عن الساعة فقال لي العاشرة صباحًا، فمضيت إلى الشارع العمومي لركوب أوتوبيس أعود به إلى منزلي، أو المنزل الذي يتركني أبي أعيش فيه كرامة لروح أمي.

عدت المنزل، ولم أجد أي شيء غير عادي، كل شيء كان كما تركته، كم تغيبت عن منزلي؟ أيامًا أم أسابيع؟ لم أستطع التحديد، فقد كان رأسي ثقيلاً وعيناي زائغتين، وذهني كان مشوشًا للغاية، هل أعطوني أدوية وحقنًا في هذا المكان؟ كنت

بدأت أحس أنني أعاني من فقدان في الذاكرة، فكل شيء عن حياتي بدا في رأسي مشوشًا وغير ثابت.

لكن الشعور الذي أرَّقني حقيقةً هو شعور بالانكسار أحاط بي من كل جانب، فقد تلقيت الطعنة الأقسى في حياتي، سيطر على رأسي شعور لا يُحتمَل بأنني لم أعد كما كنت، وأنني فقدت شيئًا ما بدخولي هذه المصحة اللعينة. أي كابوس أعيش؟!

حاولت مقاومة هذا الإحساس طوال أيام، غير أني لم أستطع، فقررت المثابرة، لا بد أن أستعيد نفسي، كانت المرة الأولى التي أستدعي فيها هذه الفكرة، فلم أشعر قط أن لديَّ شيئًا ناقصًا أحتاج إكماله غير هذه المرة. بكيت بكاءً مُرًّا، لكن البكاء له نهاية، كما أن لكل شيء نهاية، ثم أنه لم يغنِ عني شيئًا، حتى محاولة الانتقام فشلت فيها، فعندما صعدت لأبي الذي يسكن فوقي أنكر معرفته بالحادث، ثم قال إنني أهذي. ما الذي يحدث في هذا العالم؟! لم أتخيل يومًا أن أصل لهذه الدرجة من التشوش وفقدان الثقة في كل شيء.

قررت الرجوع للتدريس، وضعت أوراقي في مركز من مراكز الدروس الخصوصية، وهناك وجدت ترحيبًا كبيرًا. بدأت مسيرتي الجديدة، لكنها لم تدُم طويلاً، هناك شيء تعطَّل داخلي، نفسي

تعكرت كأنها بحر ألقى فيه أحدهم قلمًا من الحبر، لم أعد كما كنت، فقد غمر نفسي إحساس بسخافة كل شيء وانعدام أثره، حتى الطلبة لم أعد حريصًا عليهم، أحس بمراهقتهم وتفاهتهم، وأشعر طوال الوقت أنهم يسخرون مني، وأحيانًا أحس أنهم لا يستحقون التعليم أصلاً.

بات مركز شباب الحلمية أملي الأخير لمواجهة العالم واستعادة ذاتي المهدرة. لبست ملابسي وذهبت إلى هناك، فوجدت طاهر سعيد وعبد الحميد فتحي يلوحان لي من بعيد، وكأنهما وقعا على أثر. سألاني السؤال المعتاد: "إنت من زمان مختفي.. خير؟!"، فأجبتهما الإجابة المعتادة: "عندي أزمات"، اضطرب عبد الحميد واتخذت ملامحه هيئة المهتم، كما هي عادته، وقال لي: "خير؟!"، قلت له لا شيء، ثم فكرت أن أحكي له ما حدث بعد إطراقة طويلة، لكنني تراجعت، فماذا سأقول؟ هل أقول إنني دخلت مصحة دون أن أعرف من أدخلني، ولا كيف حدث ما حدث، ولا من أين بدأ وإلى أين انتهى، أم أقول له إنني أشك في أبي، أم أحكي له حواري الصامت مع الوالد الغامض الذي يخفي أكثر مما يبدي، ويعيش في شقة تعلوني

بطابق، ولا يسأل عني، ولا يعرف عني شيئًا، فيما عدا أنه يتشاجر معي أحيانًا؟

عندما فكرت فيما حدث، أوجدت السبب الأخير لتراجعي عن ذكر ما جرى، وهو أنني غير واثق أن دخولي المصحة حدث حقيقي، فكل شيء في عقلي لم يعد محل ثقة، لم أعد أثق في شيء منذ تلك اللحظة التي وطأت فيها قدماي المصحة، أو منذ خرجت منها على وجه الدقة. كانت نقطة تحوُّل حقيقية في حياتي قادتني إلى قعر التعاسة، كما يجب أن أعترف لنفسي.

ألفيت نفسي ألقي قصيدة ألَّفتها عن المصحة، عنونتها بنفس العنوان، كنت أتلوها في قاعة الشعر وأنتفض، وأشعر بها كقصيدة من لحم ودم. قدمتُ إلقاءً لم أقدمه طيلة حياتي، وعندما انتهيت كنت على وشك البكاء، فصفق الحضور بهيستريا لم أرها من قبل، ووقفوا لي احترامًا.

بعد نهاية الندوة جاءني رجل لا أعرفه، بصُحبة زميل الندوة حسن نصر، وأبدى إعجابه الشديد بالقصيدة. غمرني ذلك بالغبطة وهدَّأ مُهجة فؤادي، وجبر كسري. قلت للرجل بعد أن تظارفنا باللطائف الشعرية، إنني أكتب المسرحيات، فأشرق وجهه وقال لي إنه مخرج مسرحي في وزارة الثقافة، وإنه مستعد لأخذ أي

مسرحية مني فورًا، راقني ما قاله، ووجدت نفسي أشعر بالارتياح للمرة الأولى منذ غادرت المستنقع الذي كنت فيه.

قلَّبت بصري بحثًا عن المتسكعَين، الناقد وشاعر العامية، فلم أجد أيهما، هكذا يفعلان دائمًا لما أحصد الإشادة، يختفيان، ثم أعثر عليهما منزويين في مقهى بشارع سليم الأول، هكذا تتبعتهما حتى هناك، فوجدتهما جالسين كما توقعت، تفاجآ لما وقعت أعينهما عليَّ، ثم قالا إنهما ينتظراني منذ ربع ساعة واتهماني بالتأخير.

شريهان يحيى

انقطع عني أحمد بلا مبرر، لم يعد يتصل بي، ثم فاجأني بعد عشرة أيام من الهجران باتصالين متتاليين في عيد الأضحى، "قال يعني عاوز يقول لي كل سنة وإنتي طيبة!"، نفس حِيَل الرجال البليدة التي اعتدت عليها من والدي. أي اختلاف يمكن أن يوجد في هذا العالم! فمهما كان الرجل الذي تعرفت إليه يبدو مختلفًا فإنه بعدها يُقدِم على نفس الحماقات الذكورية المعتادة.

لم أرد عليه؛ كان يتصل في الواحدة صباحًا، وقد قلت إن ذلك سبب كافٍ لعدم الرد، ثم انتظرت أن يتصل ثانية، لكنه لم يتصل، يعود دائمًا إلى قواعده الأولى، هل كل الرجال يعودون إلى قواعدهم الأولى التي كوَّنتها عقولهم المريضة؟ كل رجل له وهم خاص، ومعتقدات عجيبة، وطبيعة مكونة من أفكار مغلقة جدًا. عاد أحمد إلى قواعده، يفعل كل شيء بالقطارة، بخيل في المشاعر، كما أن أبي بخيل في كل شيء، لكن المشكلة أنني أحبه.

أحبه، مع أنني حتى هذه اللحظة لم أكن أدرك هذه الحقيقة بشكلها المعتاد، لكن اضطرابًا ما كان يصيبني لما يبتعد عني، أشعر باحتياج جامح إليه، وأفكر فيه، وأثق في نفسي أكثر لما يكون

معي، ولا أجد لحياتي معنى إلا بوجوده. يمنحني شيئًا من الإحساس بالاستقرار والسكينة، المفقودات التي ضاعت مني منذ نشأتي الأولى.

سأضطر للاتصال به. ذهبت إليه في الدورة التدريبية التي يُدرِّسها بالدقي، تفاجأ لما رآني، لكنه ابتهج، ثم عادت المياه إلى مجاريها منذ رأيته، فعاد يتصل بي يوميًا، ويكلمني في منتصف الليل وحتى قرب الفجر. هل كان يحتاج إلى ما فعلت؟! ولماذا لم يفعله هو؟!

ظلت الأمور على حالها، حتى تشاجرنا مشاجرة كبرى، هكذا حسبها هو، مع أنها كانت عادية، طلبت منه التدخُّل من أجلي لعرض تصميم حاسوبي صممته، على مسؤولي المركز الذي يعمل فيه مدربًا، وعندما انتقلنا إلى التفاصيل علَّق تعليقًا سخيفًا، فقلت له: إذا لم يكن ما أنجزته يعجبك فسأحتفظ به لنفسي، فاغتاظ بشدة، ورمى تعليقًا أسخف، فقلت له إنني لست بحاجة إليه، وإنني قادرة على تسويق منجزي بمعرفتي دون توسطه، فقال: "وريني شطارتك"؛ أغلقت الخط، ونمت وأنا حزينة.

اختفى أحمد من حياتي تمامًا بعدها، وضاع خيط الأمل الوحيد الذي كان يربطني بالدنيا، فصرت وحيدة أتخبط لا أعرف

لي رأسًا من قدمين، أتوه في الدروب وأتخبط في الحيطان وأُضيِّع الوقت ويضيعني، وأضيع وسط الناس.

كانت ضربة قاصمة، في الحقيقة قسمت ظهري وعرَّتني ووضعتني أمام الوحدة كأنني أمام مرآة، فلم أرَ سوى صورتي وحيدة أبكي، ولم أعد أسمع سوى صوتي وأنا أشكو في داخلي، مع شذرات من صوت أمي لما تناديني، لتبدأ معي معركة أو تضع سلوكي تحت المراقبة أو تحط خطوطًا حمراء جديدة لحياتي.

غيابه سبَّب لي وحدة قاتلة، وكأنني لم أعرف هذا الشعور من قبل. كل شيء في داخلي جف، وكأنه كان يرويه، وصرت أشعر أنني جُبلت عليه أو أنني خُلِقت من أجل هذا الإنسان، وهي أفكار لم تخطر ببالي من قبل، لكنني -على الرغم من ذلك كله- لم أفكر قط في الاتصال به.

كشمعة في مهب الريح بدأتُ مرحلة جديدة من حياتي، ريشة يطيرها الهواء، بلا وجدان تسري معذبة في الفضاء الكوني الذي ينطبق على صدري كلما مر الوقت. بدأ صدري يضيق وإحساسي يتعذب بشكل لم أعد أحتمله. أنا في وادٍ وأمي في وادٍ، فكيف يمكنني أن أحتمي بها؟ وليس لى أخت بنت أشكو إليها، ولا صاحبة، فهل خلقت من أجل الوحدة إذًا؟

قررت زيارة الطبيب النفسي، حكيت له تفاصيل لم أتصور أن أحكيها له، وعندما استَعَرت حِدَّة الجلسة بيني وبينه، أخذ يقول كلامًا لم أفهمه ولم أقتنع به، ثم كتب لي دواء معروفًا لعلاج الاكتئاب.

اعترفت له أنني حاولت الانتحار مرتين، بأخذ جرعة زائدة من الأدوية. سألني: لماذا حاولت الانتحار، قلت له: لأنني في لحظة ما فقدت القدرة على الاستمرار، قال لي: وكيف فشلت المحاولات؟ فأجبته بأنني في المرة الأولى لم آخذ الجرعة المطلوبة وفي المرة الثانية نُقِلت إلى المستشفى.

قلت له بصوت باكٍ: "علقوا لي محاليل وأخذت أمي تبكي إلى جواري، ثم أصبت بارتفاع ضغط الدم بعدها". كان الطبيب مندهشًا، قال لي: أنتِ صغيرة على التعرض لمثل هذه الأمراض، سألني: "هل تذكرين أول مرة فكرتِ فيها في الانتحار؟"، قلت له: "طبعًا"، قال: "كم كان عمرك وقتها؟"، أجبت وأنا شبه مغيبة: "في الثانية عشرة"، فبهت الرجل.

قال لي: "هل تذكرين السبب؟"، قلت له: "كان أبي قد طلق أمي وحاول الاحتيال عليَّ لأبقى في صفه، كان يريد مني شهادة معينة في المحكمة أو شيئًا من هذا القبيل، عزمني على وجبة فاخرة

جدًا في مطعم غالٍ جدًا، واشترى لي كل أنواع الآيس كريم واشترى لي هدايا ولعبًا، مع أنه بخيل جدًا، وكأنه يضحك عليَّ. لماذا يتخيل الكبار أن الصغار لا يفهمون ما يحدث حولهم وأنهم ألعوبة؟!". قال أكملي، فقلت له: "أصابتني تلك المحاولة بالقرف الشديد، وصرت أحلم بكوابيس لا نهاية لها، يظهر هو فيها يضع خيطًا حول عنقي. ثم فكرت في الانتحار بنفس الطريقة". قال لي الطبيب: "وما هي؟"، قلت له: "بوضع خيط حول عنقي وشده حتى الاختناق". تلاحقت أنفاس الطبيب، سألني: "ولماذا هذه الطريقة تحديدًا؟"، فقلت له: "لأنها أتتني في الحلم، كانت مثل فكرة وكنت لا أستطيع الهروب منها"، فبنى الطبيب افتراضاته على أنني مصابة بالوسواس القهري، علاوة على ما تفتق ذهنه عنه.

أخذت جرعات الدواء بانتظام، لكن حالتي لم تتحسن، ففكرت في طرق جديدة لأعالج جفاف وجداني. قالت لي إحدى صديقاتي إن هناك شابًا يعرض نصائحه على طريقة مصطفى حسني الداعية، وإنه يقدم جلسات خاصة تقوم فكرتها على الالتقاء بالشاب أو الفتاة في كافيه ثم بدء الحكاية. أعجبتني الفكرة وبدا لي أن فيها من الخصوصية ما فيها.

صرت أقابل هذا الشاب في كافيه في الزمالك، لم أجده مبدعًا ولا خلَّاقًا. شاب عادي في الثامنة والعشرين من عمره ولا يجد شيئًا يفعله، فاستثمر في مشروعه الخاص، في نفسه. فكرة تافهة صعدت إلى رأسه، فسوَّقها على وسائل التواصل الاجتماعي، فأصبح لديه بيزنس مثل فقاعة الصابون، له رغوة برَّاقة لكنه مُفرَّغ. لم أجد شيئًا يمنعني من مواصلة جلساتي مع فادي، خصوصًا أنه كان مسليًا. لكنه في المقابلة الرابعة بدأ يكلمني عن الجنس، فصُعِقت. قال لي بلهجة الحكيم إن الأمر له جذور في النفس البشرية، وإنه يريد معرفتها، ثم قال: "ماذا تعني كلمة الجنس بالنسبة إليك؟"؛ ارتبكت، وتراءى لي أنه يريد إغوائي بهذه الطريقة التافهة، فلم ألتقِه ثانية.

عصام محسن

تأتيني الأحلام أحيانًا مُحمَّلة بصور المرضى الثلاثة الذين أكتب قصصهم، أحيانًا أشعر بهم ينادونني ويأخذون أشكالاً رمزية، لكنني أعرف أنهم مرضاي الذين أهتم بهم اهتمامًا خاصًا، وبقصصهم التي تكتسب زخمًا لما أكتبها، وتتحول من مجرد كلمات يكتبونها بشكل منفصل عن بعضه بعض إلى ملاحم درامية.

هل يؤثرون في إلى تلك الدرجة؟ وهل يكون ما قاله الدكتور ممتاز حقيقيًا؟ فليكن حقيقًا، فإن كان فماذا يضيرني؟ إنه الشغف، تلك الرحلة التي تبدأ في العقل ولا يمكن إيقافها، يلعب العقل الباطن دورًا في هذا الأمر، الهوس الإنساني المسمَّى الوصول إلى الهدف ينطوي على جانب نفسي، العقل الباطن يحرك الإنسان في مرحلة معينة من رحلته نحو هدفه، أعتقد أنه منتصف الشوط، فإذا تجاوز الإنسان نصف شوطه في رحلته نحو الهدف يصبح التراجع مستحيلاً، لأنه لا عودة إلى نقطة البداية، فلا يرى الإنسان في هذه الحالة نقطة البداية من الأساس.

أعلم هذا وأذاكره لنفسي ولأبنائي، ليس بهذه الطريقة المعقَّدة بالطبع، فهما طفلان في الرابعة والثانية، لكن زوجتي مثلاً لا

يمكنها التفاعل مع مثل هذا الكلام الفارغ، إنها فقط تريد شايًا وبسكويتًا وخبزًا، وعيشًا نعيش عليه، كما كنت أقول وأنا طفل، أقول لابنَي هذه الطرفة اللفظية فيضحكان، ولا أعلم لماذا ينبسطان هكذا إذا ما تلوت عليهما نبأ مشهدٍ واحدٍ من مشاهد طفولتي، التي اختلفت -بكل تأكيد- عن طفولتهما، التي أراها الآن بائسة، هل أقول لهما ذلك؟ لا أستطيع فتح فمي بكلمة، هذا زمنهما وظروفهما وعسى الله أن يعوضهما، بالتكنولوجيا مثلاً، هذا ما أفكر فيه وأنا غارق في تأمل وجهيهما الصغيرين.

أحمد هنائي

في مملكة الجبل يعيش الجميع في ألفة نادرة، الحيوانات والبشر والهوام والطيور والدواب، والطائر الذي يطير بجناحيه. تلك الأمم التي جاء ذكرها في الأثر يراها الإنسان فوق الجبل فقط، لكنه لا يراها في تلك الحياة البائسة في العالم السفلي، القاع الذي اعتاد الإنسان الرقاد فيه.

أشعر ببؤس تلك الحيوات الراقدة في الأسفل؛ أراها مثل البرك الراكدة، الأثر الذابل عند القيعان وفي القعور، ذلك الترسُّب للمادة الرديئة في أسفل الإناء، أما السطح فهو الرغوة، وجه القفص، وكل ما هو على السطح ينبض بحياة، رائق، مُشِع بالبريق والألوان.

استقر في ذهني أن الإنسان يكون أقرب إلى الطاقة الروحية لما يصعد فوق الجبال، وربطتُ الإحساسَ بفكرة المسافة، رأيت أنني فوق القمة أتحوَّل إلى إنسان آخر، مليء بالطاقة الروحية والسلام النفسي والاستقرار، أرى السماء أقرب، كصفحة من السلام في النهار، وصفحة من المناجاة في الليل، مثلها مثل مرآة، ليست مثل تلك السماء البائسة التي يراها الناس في الأسفل وسط

البيوت والعوادم والزحام المميت، وتداخل الأحلام والرغبات والتشوش الذهني الفاقع، والأعمال والوظائف والرغبات المكبوتة، والإناث اللواتي يرمحن مُحمَّلات برغبة يخفينها في ملابس ضيقة. كيف يفعلن ما يفعلن؟! يخفين رغباتهن في الملابس! فهل ستغني عنهن الملابس شيئًا؟!

في هذا العالم الآخر يشعر المرء بالرغبة نفسها بشكل مختلف، تلال هائلة من البراءة تغزو كل شيء، الزُّرقة تحيط بالخواطر من كل الجوانب، الأفكار لها أشكال زاهية واضحة، ثم أن الرغبة في هذا العالم الآخر تختلط بالبراءة، هل يتخيل أحد؟! الرغبة في هذا العالم تختلط ببراءة لا حدود لها، الأمر يبدو لي مضحكًا أحيانًا، فحتى الرغبة الجنسية نفسها تختلط ببراءة لم أعرفها قط في فترات عيشي بالمدينة، فلا وجود لتلك الأفكار المعقدة المرتبطة ارتباطًا شرطيًا بالغريزة.

أرى كل يوم نساء أجنبيات يصعدن الجبال معي، جبل الطور وجبل سانت كاترين، لا يلبسن ملابسهن تقريبًا، يصعدن وبصحبتهن مجموعات من الشباب والمصريين الذين يلوحون لهن كالعادة لما يغادرنهم، ويحاولون إيجاد نَفَسٍ جديد للعلاقة كيلا تتحول إلى علاقة عابرة، فمنهم من يريد السفر عن طريق أجنبية

ومنهم من يريدها مطية، لكن كل تلك الأفعال محاطة –على الرغم منذ ذلك، ويا للعجب– بمقدار هائل من البراءة.

أشعر أحيانًا ناحية بعضهن بانجذاب جنسي، ولا أستطيع السيطرة على نفسي، مثل تلك الفتاة اليونانية التي صعدت إليها من قمة إلى قمة، وأخذت أنظرها كطفل، وقفت أمامها بعد أن تحركتُ ناحيتها وأنا ألوِّح مثل الملتاثين. قلت لها ما قلت لكنها لم تفهم شيئًا، تكلمت بالإنجليزية، لكن ذلك لم يُغيِّر من الأمر شيئًا، كنت أنظرها وأنا مبتسم، وكانت ضاحكة ولها عينان تلمعان كالندى، لم تبتسم لي فتاة قط ابتسامة مثل هذه. تركَت قومها فنادوا عليها، لكنها وقفت أمامي كأنها تتأمل تمثالاً، رجلاً فرعونيًا قديمًا. الرغبة رأيتها للمرة الأولى تتحول إلى طيور، وأحسستها شيئًا مختلفًا عن كل ما كنت أحسه في السابق، أحسستها شيئًا جميلاً وزاهيًا مليئًا بالألوان والتفاصيل الإنسانية الرقيقة، شعرت بالرغبة مثل الهمس، ثم ارتسمَت تلك الجملة بعقلي، الجملة التي تقول إن الرغبة هي همس الغريزة، وتولَّدت لديَّ رغبة في أن آخذ يد اليونانية وأجري معها في ذلك الفضاء الشاسع أمامي، وكأني لا أرى أمها ولا أباها ولا أقاربها الذين يقفون وراءها مذهولين مما يرونه.

أخذت يدها وطرت مثل طائر رأيته أمامي، وظننت أنني أتبعه، فجَرَت إلى جواري كالطفلة. مضينا إلى أجواء بعيدة حتى كدنا نتوه، كانت تجري إلى جواري وتضحك وأضحك معها، وكأنني أضحك للمرة الأولى. ثم عدت معها إلى نقطة البداية، حيث وقف قومها وبدؤوا يضحكون هم أيضًا، وتحول الضحك إلى عادة حتى جلس كل الفوج الأجنبي على الأرض وأخذوا يضحكون، وأنا جالس أمام الفتاة اليونانية وكأنني في محراب، أمسك يدها وأنظر في عينيها، وتنظر في عيني برقة، لكن الرغبة توقفت عند ذلك الحد، فلم تتجاوزه. ظللت متخشبًا أمامها حتى حانت لحظة الفراق، فلوَّحت لها ولوَّحت لي، ولم أفعل شيئًا بعدها، فلم أتبعها حتى للفندق الذي تسكن فيه، ولم أطلب لقاءها في اليوم التالي، وتبيَّن لي أنني أواصل ما فعلته طوال مسيرتي، فكل رغباتي انقطعت لأنني لم أتتبعها.

حاتم دغيش

أقف وحيدًا في الزحام، الشلال الهادر يدور حولي في سوق عزبة النخل. ما الذي أتى بي إلى هنا؟! لا أتذكر، لكنني كنت في الماضي آخذها مشيًا على الأقدام من عين شمس إلى سوق عزبة النخل، ثم إلى سوق مسطرد، كيف كنت أفعلها؟! سوق عزبة النخل يقع في شارع ضيق تمر فيه سيارات نقل تحولت بقدرة قادر إلى سيارات ركاب، بعضها بلا إكصدام ولا فوانيس، قطع من الخردة تتحرك فوق عجلات، لكن ماذا إن تعطلت واحدة من هذه السيارات؟ تتوقف حركة السير في الشارع فورًا، ويصيب السوق العطب، فيتحرك بائعو الأفراخ والفرَّانون والخبَّازون وبائعو الخضراوات والفواكه، ويتحولون جميعًا إلى ميكانيكية، أحيانًا يدفعون العربة ثم يجرون وراءها كأنهم في سباق ليتأكدوا أنها تعافت من المرض، ثم يستأنفون حياتهم من جديد، لكن ما الذي قذف بي إلى هذا الطريق؟! ما الذي أوجد هذه الخريطة في عقلي؟ الخريطة التي تقضي بأن أمضي -كلما كنت محزونًا- من عين شمس إلى سوق عزبة النخل ثم إلى سوق مسطرد! ثم كم كيلو أقطع في هذه الرحلة البائسة؟! رصدت الأمر ذات مرة ففوجئت

بأن المسافة 35 كيلومترًا، و35 أخرى في العودة، أي سبعين كيلومترًا، إنها حياتي الأولى التي كنت أضيعها في تلك الرحلة التي علَّمها لي صديق عابر اسمه المزاج المعطل.

أمشي إلى مقهى في منتصف الرحلة، أجلس لأستريح ثلاث مرات كما اعتدت في رحلة الذهاب، يضايقني صبي المقهى بنظرته، فهو يعرفني جيدًا. الفتى قديم في مكانه، وأنا عابر سبيل معتاد، لا يحبني، ولا أعرف لماذا، ألأنني لا أعطيه البقشيش؟ حاولت مصالحته في الماضي فأعطيته جنيهًا إضافيًا مرتين متتاليتين، لكنه لم يُغيِّر معاملته؛ الانطباعات الأولى تدوم. وضع القهوجي الصغير لي كوب الشاي بقرف وكأنه يقذفه في وجهي، وأشاح بوجهه كأنه يُكلِّم أحدًا من الزبائن الذين جلسوا في الداخل. كيف يكره إنسان إنسانًا لا يعرفه إلى هذه الدرجة؟! سؤال كثيرًا ما حيَّرني، عطفًا على أنني شخصيًا انزلقتُ كثيرًا إلى دائرة الكراهية بلا مبرر، فكنت أكره البقال وعامل المسجد الذي يقع في شارعنا دون سبب مفهوم، والغريب أنهما كانا يكرهاني هما الآخران. هل يمكن أن تكون كل تلك المشاهد مجرد أوهام مزروعة في الرؤوس؟ أيعقل أن تكون كل هذه الكراهية غير موجودة من الأساس ونختلقها نحن؟! لا، إن شجرة الكراهية تنمو من داخلنا كما تنمو شجرة الحب، هكذا قال

عبد الحميد فتحي في واحدة من المناقشات الجدلية التي شهد عليها منزلي، الذي كان بيتًا لي قبل أن أدخل المصحة، أما الآن فقد تحوَّل إلى شيء آخر، كما تحوَّل كل شيء. أعتبره الآن مستقرًا، مستودعًا، شيئًا من هذا القبيل.

أرى ضوء هاتفي ينبعث، يُنبئني أن فريد يتصل، المؤلف المسرحي الذي التقيته في مركز شباب الحلمية؛ أبتسم وأشعر بالغبطة، وأفتح الخط مستدعيًا لهجة رسمية عجيبة، أستدعيها عادة في مثل هذه المواقف، ولا أعرف إن كان البشرُ كلهم يفعلون ما أفعله أم لا. ترحيب ثم ترحيب ثم ترحيب، عبارات إطراء، ودعوة إلى نادي المؤسسة العمالية في شبرا الخيمة. "أعرفه جيدًا، فقد حضرت فيه عشرات الندوات من قبل. سأركب المترو لآتي إليك"، قلت للرجل، ثم عدت أدراجي إلى المنزل كما أفعل عندما يأتيني خبر جيد أثناء الرحلة المقدسة، فلم يعد هناك أي داعٍ للتسكع في الأسواق.

كويت قميصًا وبنطلونًا، دائمًا ما أخبئهما لهذه النوعية من المناسبات، ثم نزلت للقاء فريد، الذي لاقاني عند باب محطة مترو شبرا الخيمة. دخلنا نادي المؤسسة العُمَّالية كالفاتحين، ثم ولجنا قاعة كبيرة، فوقعت عيني على مسرح كبير يجلس فوقه مجموعة من

الشباب والفتيات، يجمعهم سن واحد، فأكبرهم في الخامسة والعشرين وأصغرهم في العشرين، وكان بينهم فتاة تتأتئ ولا أعرف كيف تقول الجمل.

قدَّمني المخرج الذي بلغ الأربعين للفرقة، باعتباري مؤلف الفرقة، وقد أعجبني هذا الوصف، ثم قال لهم إنني من ألَّفت مسرحية "الشيطان يتقمَّص دور الضحية"، فالتفوا حولي ورحَّبوا بي ترحيبًا بالغًا وكأنني نجيب سرور. أحضرَت الفتاة التي تُتأتئ كوبًا من الشاي لا أعرف من أين، بدت لي فتاةً قادرة، ولم أعرف لماذا.

قال لي إن الفرقة اسمها "رسالة"، فرقة حُرة تقدم مسرحيات في كل المحافظات، سألته: "وماذا عن الفتيات؟ هل يسافرن أسوان مثلاً؟" ضحك فريد، وقال لي: "كل واحدة تتصرف على قد حيلتها.. الفتيات يصلن لأهدافهن مهما بدت مستحيلة.. لديهن إيمان من نوع خاص لا يعرفه الرجال.. أنا وأنت يعني"، ضحكت نصف ضحكة، وأحسست أن وجهي نسي الضحك، فقد خرجت الحركة مني بشكل مُرتَبِك، وكأنني معطل الفرحة، فاستغرب فريد، وقال لي: "اضحك يا رجل، أنت هنا في المسرح للضحك"، من أين جاء هذا الرجل؟! وأي قوة ألقته في طريقي؟!

وهل ما يعدني به ضحك أم بكاء؟! قال لي إنه سيوزع على الأطفال الذين اندمجوا في مقاطع مرح متفرقة كأنهم طلبة في الابتدائية، نُسخًا من مسرحيتي البائسة التي رميتها في الأدراج سنوات طويلة، ولم أفهم كيف يثق في نَص لم يقرأه، فقال لي: "مللنا من نصوص ستانسلاف ستراييف وعلي سالم ونعمان وسعد الدين وهبة وميخائيل رومان. أبحث عن نصوص جديدة.. عمومًا مستحيل واحد يكتب شعر بروعتك وبعدها يكتب شيئًا سيئًا. أداؤك في الإلقاء أكَّد البُعد المسرحي في كتابتك.. شعرك كله مسرح.. صور وراها صور، وهو ما شهدته في نص المصحة. قلت في نفسي لما سمعت النص في مركز الشباب إنك مؤلف مسرحي إلى جانب الشعر، وصدق حدسي، الكتابة تدل على بعضها"، قالها ثم أكمل: "نتكلم بالتفصيل بعد القراءة".

في المساء اتصل بي فريد وقال لي مبتهجًا إن النص أعجبه، ودعاني إلى البروفة الأولى للفرقة. لم أكن أصدق أنهم سيمثلون مسرحيتي، هؤلاء الفتية والفتيات الذين لا أعرفهم سيتقمَّصون شخصياتي، تلك الشخصيات التي كتبت في علبتي البائسة، أين ستذهب طاقة البؤس التي حملتها بها، وكأنني أُحمِّلها أمانة الأمانات؟! هل يمكن أن تضيع طاقة البؤس التي ضعضعت

عظامي؟! وهل سيستوعب هؤلاء الصغار بؤس الشخصيات؟! لا بأس إن لم يستوعبوها، سأدربهم على التقمص لأنني أعرف من أين تؤكل الكتف، فأنا من اخترع الشخصيات وألفت الأحداث ووضعت إيقاع الزمان والمكان.

في طريقي إلى المسرح لم أكن أستطيع تمييز ما يحدث، ولم أتبين إن كان موعدي حلمًا أم حقيقة، "لقد تحولت إلى مؤلف مسرحي في غفلة من الزمن أيها الرفاق"، قلتها للمتسكعَين الاثنين اللذين رقدا كعادتهما عندما حل المساء في شقة واحد منهما، ليتقوَّلا على بعضهما الأقاويل، ويتكلمان فيما لا يعنيهما، ويرققان الواقع، ويبحثان عن قصة، وها قد أوجدت لهما القصة، "حاتم دغيش صار مؤلفًا مسرحيًا"، سيقول واحد منهما العبارة للآخر، وغالبًا فإنهما سيضحكان، ويعتبران الأمر من النوادر، كما أعتبره أنا، المؤلف المسرحي.

شريهان يحيى

تمتعض أمي عادة لما تسمعني أكلم صديقاتي المنقطعات، وأسميهن كذلك لأنهن ينقطعن عني ويعُدن دون أن أعلم لِمَ انقطعن ولمَ عُدن لأحضاني. كانت صديقتي تحكي لي عن شاب ارتبطت به وجرحها. القصة المعتادة لفتيات جيلي، الشاب يجرح ويجلس بالمقهى، الشاب يجرح ويلعب الكرة مع رفاقه في المطار، الشاب يجرح ويلعب دورة بلاي ستيشن مع أصحابه. هل يفعل ذلك لينسى؟ عادة ما أسأل، فتجيبني واحدة منهن: "لا إنه يفعل ما يفعل كل يوم وكأن شيئًا لم يكن".

ذات مرة قال لي أحمد تعليقًا على مثل هذه المهاترات، إن الرجال كائنات بشعة ولا يمكن احتمالها. كيف قال ما قال؟! وهل يعتبر الأمر نوعًا من الصراحة أم أنه يسخر؟ غالبًا لا أفهمه، ولا أعرف كيف يمكنني الفصل بين جده وهزله، انتقاده وإشادته، تجاهله والتفاته، وترحيبه واستغاثته، فأنا لا أعرف ما هو الخط الفاصل بين رغبته وانعدامها، ولا أعلم ما يريد.

قلت له مرارًا إنني لا أفهمه، فضحك حتى استلقى، وقال إنه أمر معتاد، فلا أحد فهمه ولا سيفهمه، وبدا لي فخورًا بما قال،

لكن ما يغيظني بشدة أنه يستطيع ضبط الأمر كما لو أنه ضبْط مصنع، يلعب لعبة الانتقال من حالة إلى أخرى ويدمن البقاء في منطقة السخرية التي لا تحدد للمرء موقفًا ولا توجسًا ولا اتجاهًا، وأجلس أنا أمامه كالتلميذة -على الرغم من كل هذا- وكأنني أتلقى الدروس والعِبر وأتعلم ما لم أكن لأتعلم لولا ملاقاتي وجهه ذلك الذي ينطق عن الهوى، ويدغمه في أمور أخرى أحيانًا، فلا أعرف إن كان يريد أم أنه فقط يحب المشي على الحواف. وإذ قلت له مرة إنه يحب المشي على الحواف فقد التفت واعتبرها إشارة ذكية، وعلقَت الجملة في لسانه، ثم قال إن ذلك صحيح، حظي ونصيبي وقدري ومكتوبي، وهل يمكن أن أفلت من القدر؟ لكن أين هو الآن؟ غائب في ملكوت الله، ضائع في غيابات الحياة التي لم يدركها إدراك ولم يعرفها معنى. سأُسلِّم أمري لله وأفكر في أمر آخر حتى يعود الغائب، أحمد، الذي يبكيني الآن، وأقسم أنه لو عاد لي مرة أخرى لما أفلتُّه من عقالي، لكن كيف يعود وقد قررت ألا أتصل به ما حييت مهما كانت الظروف؟! فلا شيء يعادل كرامتي عندي، أو أنني لا أملك الشجاعة، فإن اتصلت به ماذا سأقول؟! هل أقول له لماذا تركتني؟ سيقول لي بكل برود: إذا كنت توقفت عن الاتصال فلماذا لم تتصلي أنتِ؟ وساعتها لن أعرف كيف أرد عليه.

لكنني لم أنقطع عن التفكير فيه، وكنت كلما فكرت فيه تعاظم لديَّ إحساس أنه سيعود لي، لا أعرف كيف يحدث ما يحدث، ولا أفهم سر ذلك الإحساس، وقوة اليقين التي تصل إلى درجة الإيمان، القوة التي تطمئنني وتزرع في نفسي السكينة، وكأن ما يرسمه عقلي ليس إلا خريطة المستقبل.

في إحدى مكالماتي –التي تثير امتعاض أمي– سمعتني السيدة التي تأويني وأنا أقول لفظًا خارجًا لصديقتي، التي استفزنتني أكثر ما استفزني حين قالت إن الشاب الذي يواعدها تركها للمرة الخمسين، لسبب أتفه من المرات التسعة والأربعين الفائتة. كيف يفعل ما يفعل كل مرة؟! هل هو إصرار على التفاهة؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تصر عليه؟ وهي الفتاة المتعلمة الذكية النابهة الاجتماعية التي كانت في فترة من الفترات فلتة من فلتات القدر. أمنية التي صارت طبيبة وتفتخر بما صنعه أهلها لبناء مستقبلها، المبررات العجيبة التي تجعلها ملتصقة بشاب ضائع تغيظني، لكن ما غاظني أكثر أنها ذكَّرتني لسبب غير واضح بما فعله أحمد معي، فتسيَّب لساني وقلت الكلمة المعيوبة التي تشير إلى أن الرجل ليس رجلاً، وهي كلمة شائعة تبدأ بحرف الخاء.

قالت أمي وهي تصرخ: كيف تقولين يا من ربيتك على الأخلاق والقيم هذه الألفاظ؟! قلت لها إن اللفظ شائع، فدخلت في هيستريا. لم أعرف كيف أوقفها عند حدها، فلبستُ الإسدال بعد أن ذهب الغضب عني ونزلت الشارع لا ألوي على شيء، ولا أفهم ماذا حدث ولا ماذا سيحدث، ظننت أنني سألف ساعات في الطرقات لأعود إليها منهكة كما اعتدت في هذه المواقف، غير أنني سقطت مُغمى عليَّ فوق رصيف عالٍ.

التفَّ الناس حولي، فسمعت صوت أقدامهم. أخرجوني من غيبوبتي بعدما شممت كمية لا بأس بها من العطور. وقفت بعد الاستفاقة على جانب شارع جامعة الدول العربية، أتلمَّس حائطًا من الحوائط، فوقف بجواري شاب يريد أن يتخذها محاولة لربط كلام معي، أو معرفة ما حدث على الأقل من باب الفضول الذي يصيب بعض الرجال في مرحلة متقدمة من أعمارهم، مع أنني أعرف أن الفضول شأن نسائي بحت.

شعرت بالغيظ الشديد والإحباط من الهيستريا التي أدخلتني فيها أمي. كل الإحباطات السابقة تكلست في معدتي. ما زاد الأمر تعقيدًا حالة الإغماء التي تعرضت لها. أهكذا تورد الإبل يا أمي؟ تسمعين مني لفظًا تافهًا فتطرديني من البيت بصراخك

وعويلك؟! جلست فوق رصيف في الشارع أبكي. صعبت عليَّ نفسي كما يقولون. ألبس الآن الإسدال وأنا التي لم ألبسه في البيت حتى، فمحاولات الهروب تجعل الإنسان غير قادر على تمييز ما يلبس، تكون مهمَّةُ الهروبِ أهم، لو أنني بقيت لحظة واحدة أمامها لوقعت كارثة أحاذر من وقوعها طوال عمري.

نزلت دموعي بغزارة، ورأيتها اللحظة الأنسب للاتصال بأبي. والله لأشكوها له وأرى بم سوف يحكم بيننا! رد عليَّ بلهفته المصطنعة، فشعرت بقرف لحظي، أشعر به دائمًا في اللحظة البادرة التي يقول فيها "آلو"، وأفكر أنها أسوأ "آلو" سمعتها في حياتي، كيف يتحمل الناس هذا الرجل؟! أقصد كيف يعيشون معه حياة طويلة؟ فكرت بتمعن ثم اكتشفت أنه لم يعِش مع أحد لفترة طويلة، فها هو يرقد وحيدًا في غرفة فوق سطح منزل أمه الذي يوشك أن يسقط على رؤوس ساكنيه جميعًا، ولا يعرف ما فعل الله بأبنائه.

قلت له: تعالَ خذني، فرد بلهجته المترددة: خير! حاجة حصلت؟ كررت: تعالَ خذني، فرد بحذر: اتخانقتم؟ وكان يقصدني وأمي، فبيَّنت له أنني أحتاج من يأخذني من الشارع. ولأن الرجل غير مُدرَّب على التعامل مع هذه المواقف فقد ارتبك.

يا لها من عائلة! سألني أخيرًا بعد نفاد صبري: أين أنتِ؟ أخيرًا قالها. كنت أتمنى أن يقول "يا حبيبتي" في الآخر مثلاً. قلت له: في شارع جامعة الدول، فقال: سوف آتي لآخذك حالاً. جاء بعد نصف ساعة، فوجدني جالسة فوق الرصيف؛ قال باندهاش لما رآني: هو حصل حاجة؟! فقلت: لا، أنا فقط أريد ترك هذا البيت. أوقف تاكسي، وركب بجواري في الكرسي الخلفي، وقد استغربت تصرفه، فعادةً ما يركب بجوار السائق ويحكي معه حكايات المواصلات التافهة. لما وصلنا منزل أمه في العمرانية أعاد تقديمي إلى جدتي، كأنه يُعرِّفني عليها للمرة الأولى، امرأة عجوز لا يبين لها رأس من قدم، تلف نفسها بمجموعة منتقاة من الخِرق السمراء كما اعتادت النسوة الشعبيات، تعيش في منزل بَنَته من التجارة مع أبنائها العاطلين عن العاطفة.

قالت لي المرأة لما لاقتني قولاً واحدًا: "أريد واحدة تخدمني"، وكانت تقصدني، فلم أحر جوابًا وفكرت في البكاء، هذه العجوز تشترط عليَّ الخدمة إن آوتني في بيتها؟! هل يدفع أبي ضريبة إيواء هو الآخر؟

عصام محسن

أرقد وسط الجموع في ذلك الحلم الذي يظهر فيه المرضى الثلاثة متناثرين، ثم يندمج ثلاثتهم في تكوين بصري واحد وينتزعونني من رقادي، أصحو من نومي وأفاجأ بما يحدث، هل بدأ التقمص؟ أنكر الأمر بيني وبين نفسي وأنا أهز رأسي.

آخذ عينة من الأوراق التي تركوها لي آخر مرة، وأمضي في الشقة كالملتاث، أحاول فك الطلاسم التي كتبها مرضاي، ويجد عقلي مخارج أخرى كالمعتاد، فتتحور الألفاظ ولا أعرف إن كان ذلك يؤثر على الأحداث أم لا، ثم أنني في مرحلة ما أفقد اهتمامي بالموضوع، فلا يصبح فارقا عندي إن كانت التأويلات تغير خط سير الأحداث. أرقب نفسي وأنا أعيش حالة كُتَّاب السيناريو الذين يظهرون في التليفزيون ليتحدثوا عن معاناتهم مع الشخصيات. أنا لديَّ شخصيات من لحم ودم ومع ذلك فإنني أعاني وأدور في الغرفات كالثور المحبوس، فأنَّ لي أن أدرك طعم الراحة في مثل هذه المرحلة من البناء!

أكتب الرسائل لزوجتي وأضع الأوراق على باب غرفتي منعًا للإزعاج، كما يفعل المؤلفون والمخترعون، ويبين لي في كل لحظة

أنني سوف أتوصل إلى شيء دون أن يكون هناك دليل، لكن هذه القناعة وحدها تكفي. أدرك في لحظة ما أن القناعة أهم من المعرفة، وأن الوصول لقناعة اقتراب المعرفة واستهلالات إمساك الكشف باليدين أفضل كثيرًا من الكشف ذاته. يمكنني الآن اعتبار الكشف مجرد حفلة وداع أو إكمال لخط بدأه الإنسان أو القدر أو كلاهما معًا.

أحمد هنائي

أثق تمامًا أن العالم كان جبلاً قبل أن يكون أي شيء، فلم تُمثِّل الأرض المنبسطة أي إغراء للإنسان في الماضي السحيق، فالسهول والوديان هي مجرد حل تافه للعيش، لم ينحدر الكائن الأول إليه إلا لما فقدت البشرية زخمًا داخلها، فبات الناس يرضون بالسكن في القيعان حين هنأ البعض بالرقاد فيها دون سبب، سوى تواضع الطموح الإنساني بمرور الزمن.

فوق الجبل أرى حميرًا تمر عليَّ تحمل على جانبيها أشكالاً بسيطة من الطعام والشراب، أين ذهبت التعقيدات الأرضية؟ "تناثرت في الهواء!" هكذا أجابني راهب شاب لما سألته عن الأمر. هز كتفيه ورأسه، وتكلم عن الحياة السفلية فيما تحت الجبل بمنتهى الاحتقار، كما أحتقرها تمامًا.

تعرفت على رودويل الذي سكن الجبل بعد رحلة من بلده ألمانيا. قال لي الرجل إنه جاء مصر قبل أعوام، فلم يستطع مقاومة أرض الحضارات التي سمع عنها حتى انشق سمعه. قال لي الرجل إن سُمعة الحضارة المصرية رهيبة في الغرب، وموحية إلى درجة لا يمكن تخيُّلها، فهي الأكثر جاذبية مقارنة بحضارات

الأزتيك والمايا والهنود الحمر، ثم قال: الأوربيون لا حضارة لهم، مجموعة من الفلاحين استعمروا البلاد الفقيرة ثم بدأ عيدهم، عيدهم وليس حضارتهم.

أعطاني الدرس الأول حين قال لي إنه اكتشف أن الحضارات تظل حاضرة في الأراضي التي كانت شاهدة عليها، لكن ما يخفيها الضجيج وأشكال الحياة الحديثة وليس الزمن، فالحضارة المصرية القديمة ما زالت حاضرة بالنسبة إليه على الأرض، التي قال إنه لما وقف عليها أحس بالانجذاب.

ما الذي يخفي الحضارة إذًا؟ التشوُّه. وماذا أيضًا؟ ترك الناس الأرض التي انحدروا منها والذهاب إلى الحداثة، الثقافة الجديدة، الكومباوند، تجد رجلاً فلاحًا ترك أرضه وذهب ليعيش في القاهرة، التي لا يمكن لإنسان حي العيش فيها، وعندما تسأله لماذا فعلت هذا يرد بإجابات متضاربة غير مقنعة بالنسبة إليه، ولا أقنعتني مرة واحدة، يقول لك المستقبل، ما هو المستقبل؟ هل تعرف أنت شيئًا عن المستقبل؟ ثم ما هو المستقبل في أن تترك الأرض التي انحدرت منها وتذهب للعيش في مدينة تشبه مدن الملاهي والزومبي؟! هكذا قال الرجل الألماني.

قال لي الرجل إن تاريخ الحضارة المصرية ما زال حاضرًا بشكل كثيف في المناطق التي لم يطُلها الإنسان بالتشويه، الواحات وسانت كاترين وطور سيناء، لكنه قال إن سيناء هي الأكثر عجبًا، ثم فكر قليلاً وقال بلغته العربية المدهشة إن سيناء تجمع السلام الآسيوي بالغريزة الإفريقية والفروسية العربية والتسامح المسيحي والرغبات المتناثرة من رجال عظام عبر تاريخ البشرية، ثم فاجأني: "من يرِد التعلُّم لا بد أن يغوص في أغوار سيناء، ومن يرد الفن عليه البقاء في الواحات. قرية الجبل مثلاً ألهمتني بلوحات غاية في الغرابة، الجو هناك خرافي، يبعث فيك روح الفنان وإن لم تكن فنانًا، يُكثِّف المشاعر بطريقة غير عادية ويخرج منك مخزونًا لا تتصوره". سألته: "أين قرية الجبل؟" ضحك وقال: "في الداخلة!" ثم أخرج خريطة من جيبه وحدد موقعها، وتساءل مندهشًا: "كيف لا تعرفون بلادكم؟! وكيف تتركون كنوزكم تحت أرجلكم ولا تمدون أياديكم لتأخذوها؟! أتيت إلى هنا من آخر العالم لأطَّلع على تحفكم وأنهل من سحر بلادكم المخبوء". سكت الحوار قليلاً ثم قال: "لا أعرف كيف يمر إنسان على مكان مثل قرية الجبل في الداخلة ثم يتركها ويرتحل إلى المدينة؟ أنتم مثل كل الشعوب الشرقية، لا تملكون الشجاعة، لكن السؤال الأهم هو: من نزع منكم الشجاعة إلى هذه

الدرجة؟" أكمل تساؤلاته مندهشًا: "هل يمكن أن تغادر إنسان الشجاعة لدرجة تجعله يترك مكانًا يحبه ويسكن آخر يبغضه من كل قلبه؟! إنه حال أغلب سكان القاهرة، وهو أمرٌ مدهش على أي حال. الناس في الغرب لا يفكرون هكذا، يفكرون بالعكس، المشكلة أنكم لا تُقدِّرون أهمية اختيار السكن المستقر الذي يرقد فيه المرء عندما ينتهي المطاف، يسكن المرء عندكم في أي مكان، لا تفرق معه، كما تقولون، ولا أدى كيف ولماذا؟ مع أن الإنسان خُلِق –من وجهة نظري– ليعيش في مكان يحبه".

سألني: "لمَ أتيت إلى هنا؟" فلم أحر جوابًا، قلت: "لا أعرف". فرد بعد لحظات من التأمل: "لقد أتيت إلى هنا لتتعلم.. مثلي تمامًا، لكن هل تعلمت؟ أنا تعلمت كثيرًا"، قلت له: "تعلمت طبعًا.. تعلمت ما لم أتعلمه طيلة حياتي"، قال: "وما أبرز ما تعلمته؟" فأجبته: "هي أشياء داخلية لا تُرى، لكن يمكنني الشعور بها.. كل يوم أتعلم". أطرق الرجل ونظر في الفراغ ثم قال: "هكذا هو الأمر تمامًا".

حاتم دغيش

لا يمكن فهم كل ما يحدث، لكنني أفهم الآن ما يحدث لي للمرة الأولى، أضع ملابسي فوق جسدي وأمضي إلى عملي الجديد في مسرح المؤسسة العمالية في شبرا الخيمة، أفهم ما يحدث لي للمرة الأولى وأجده متسقًا مع أعماقي، أستطيع الفهم والترتيب والتصنيف، ووضع كل شيء في موضعه، والتفاهم مع الواقع بشكل يختلف كثيرًا عن جميع ما سبق.

في المسرح أقابل الزملاء الجدد كل يوم، نشرب الشاي والقهوة ونلقي النكات ونأتي سيرة بعضنا بعض بالسخرية. حياة عادية مثل حياة أي إنسان يعيش في أي قطعة من العالم، ليسوا أطفالاً إلى تلك الدرجة التي تخيلتها، فهُم في النهاية فنانون أيضًا يضعون الشيء على الشيء ليصلوا إلى منتج مختلف، بعضهم يدرك روح الفن، يقرؤون الشعر ويضعون أغاني قديمة على هواتفهم المحمولة، ويسمعون فيروز ويُطيِّرون الحمام ويجرون وراء أحلامهم.

لكل واحد منهم قصته التي لا تختلف في مكوناتها الدرامية عن الأخرى كثيرًا، كما لا تختلف عن مكونات قصتي، وهو ما

أدهشني، فجميعهم يمضون في سنوات العشرين القلقة بلا استقرار أسري ولا وظيفي، لا يعرفون ما يفعلون، بعضهم يعمل في مهن لا يريدها، والبعض الآخر يبكي في الكواليس من الظروف، والفتيات جميعًا يشكين عدم رضا الوالدين بعد إقدامهن المريع على الانضمام إلى الفرق المسرحية.

لبعضهم إحساس مضحك بالموهبة وكلام عجيب عنها، يخلطون دومًا بين الإيمان والموهبة والرغبة، هناك حرب مصطلحات في عقولهم. الأزمة النقدية التي يعيشها المجتمع الثقافي تلقي بظلالها على الجيل الصاعد الواعد الذي تشغله الحماسة عن غيرها. ذات مرة كلمني واحد منهم عن الحرية والمسؤولية وعلاقة الموضوع بسارتر، ثم أفرط في الكلام متجهًا صوب الفلسفة، وبدا واضحًا أن معلمًا أكبر منه لقَّنه، وأنه لا يعرف ما يقول، لكن أي غرابة في هذا إذا كان المثقفون الكبار أنفسهم هكذا! تلقوا تعاليم من معلمين كبار ثم باتوا بعدها لا يعرفون ما يقولون، لكن "الحال ماشية والحمد لله"، وهذا هو المهم في النهاية.

لكن ما لفت نظري كانت فاتن، فهي أكبر من الجميع، تقع في أواخر العشرينيات مثلي، وتحارب حربها الداخلية العميقة كما يحارب الجميع، تظهر آثار الحرب أحيانًا على وجهها وأحيانًا

أخرى لا تظهر، كما هي حال النساء في مصر، تبكي ساعات من القهر وساعات أخرى تأتي بعينين منتفختين من البكاء السري، وهناك لحظات رائقة تضحك فيها وكأنها امرأة لا تمضي بتثاقل نحو الثلاثين، بينما يثقل ردفاها وتقل حركتها، وتدخل مرحلة المعاناة من السمنة وأمراض الظهر وعرق النسا، والبكاء والعويل من أجل الزواج، ساعات منها وساعات من الآخرين، الضيوف الدائمين على حيواتنا، الأهل والأقارب والأصدقاء.

وقع في رأسي أنها مشرفة إدارية أو شيء من هذا القبيل، ثم اكتشفت أنها ممثلة، ممثلة مسرح حر، في هذا العمر؟! كيف طوَّعت لها نفسها الاستمرار في هذا النشاط حتى هذه المرحلة من العمر؟ وكيف سمح لها أبواها؟ هل يوجد أبوان أصلاً؟ سألتها فأجابت بالنفي، تعيش مع جدتها في شقة إيجار قديم في شبرا الخيمة، حيث تختلط أصوات البائعين بكل شيء، حتى تفاصيل الحياة اليومية وأحاديث الهواتف وأصوات التليفزيونات وبكاء الأطفال وأنين العجائز.

ما وقع في نفسي تجاه فاتن مزيج من التعاطف والشفقة، تحوَّل إلى إعجاب وتعلق كما يحدث أحيانًا، ثم ولجت عالمها حين حكت التفاصيل المعتادة حول خطبتها مرة واثنتين لابن العم وابن

الخال وأبناء المنطقة الذين حاموا حولها. كيف لم يكتب لها الزواج من كل هذا العدد من المتهافتين حولها المتلطعين بناصيتها كما يتلطع الذباب بحواف طبق العسل؟! هل للأمر علاقة بكونها تسرح في المسارح؟ هل له علاقة بكونها تحاول اقتحام عالم التمثيل؟ هل عرف أحد من أبناء المنطقة ما تسعى إليه وما تعد له العُدة، أم أنها قالت للجميع إنها تعمل مدرسة مثلاً؟ تضمنت محاولات الآنسة فاتن أيضًا طلعات في عالم الغناء والطرب لم يُكتب لها التوفيق، قالت لي إن موضوع التمثيل معروف على نطاق ضيق من بعض الجيران، ثم قالت: "الباقون ليس مهمًا أن يعرفوا أو لا يعرفوا".

تلبس فاتن ملابس محافظة إلى حد ما، ليس لرغبة منها في الاحتشام وإنما لسمنة بدأت تعانيها، ثم أنها لم تبدأ حياتها بثقافة المحزق والملزق، وإنما بدأت حياتها الأنثوية بخيال شعبي جدًا، فاهتمت بالماكياج وقطع الأكسسسوار وجلسات إزالة الجلد الميت ولبس العباءات في المناسبات التي تستدعي ذلك، والفخر بأن جسدها يجد ملذته ومنتهاه في هذه الملابس الشعبية، التي لو قدر لها أن تكون نبراسًا فإنها ستكون نبراسًا لفاتن التي تستشهد دائمًا بحادثة شهيرة، فعندما تقدم عريسان لها ولأختها (التي

تزوجت فيما بعد)، لبست الأخت "الاسكيني" و"البادي" لتظهر أمام الأم في أزهى حُلَّة، أما فاتن فقد اختارت بمكرها الشعبي الاختيار الصائب، فلبست العباءة وخرجت للسيدة التي انبهرت بها أشد انبهار. اعتبرت فاتن الواقعة دليلاً على نبوغها المفرط، وقالت "فهمت السيدة لما نظرتها من وراء الباب".

وإذ تقول فاتن إنها مستغربة من عدم زواجها، مقارنة بأختيها الاثنتين، فإنني أرجعها إلى هذا الموقف الذي تحكيه دومًا، وأقول إن الموقف يكشف الفارق بينها وبين أختها حنان، وأنه كاشف أيضًا لسبب لهاثها وراء قطار الزواج دون اللحاق به، على الرغم من إنكارها تلك الرحلة المقدسة، وهو أنها تحاول دائمًا الالتفاف على الآخرين لتأخذ منهم أقصى ما يمكن أخذه، أما أختها فهي فتاة بريئة تصرفت دون اللجوء إلى الحيلة، فتزوجت، مضى الأمر معها في خط مستقيم كما بدأته.

انزلقتُ مع فاتن في منزلقات الهوى. كانت تقول عبارات معتادة ومحفوظة، وكان ذلك يضايقني. روح الابتكار غائبة عنها كليًا لكنها بدت زوجة مناسبة. رشَّحها فريد بقوة وإمعان في الثقة. قلبت الأمور ووجدتها فرصة مناسبة، فالفتاة لن تطلب أبيض ولا أسود، ولا أهل لها يعكرون صفو الزيجة. عرضت الأمر

على أبي فاندهش لسبب لم أدركه، وقال وهو ممتعض يقلب شفتيه: ماشي.

جلبتها إلى عش الزوجية المحتمل، شقتي التي نبتت من العدم، أنبتتها أمي ثم أنبتت فوقها بيتًا، وأعطت كل شيء لأبي، فمنحني صك الرحمة بترك الشقة ملجأ لي أُرقِد فيه امرأة الآن، وأقول للناس إنني سأتزوجها. تقول فاتن عني "الباشمهندس"، ولا أعرف لم تلصق بي هذا اللقب العجيب! يبدو الأمر وثيق الصلة بثقافتها.

كنت ألَّفت مسرحيتين وأخرجت أخرى من صندوق عجائب، قال عبد الحميد إنه موجود عند كل مواطن، فبات لديَّ ثلاث مسرحيات، نثرتها في الفضاء بمساعدة فريد، فلاقت قبولاً، وبدأت أرسم ابتسامة على شفتي وأقهقه ضاحكًا في القاعات والمسارح والندوات، وبدا لي أنني سأودع عالم الحزن والضياع.

قالت فاتن لجدتها كلامًا مبعثرًا عن وظيفتي، وكلما سألتها واحدة من جاراتها عني دبجت ردًا مفيدًا، وهو: يعمل في المسرح. ثم أنها لم تقل قط إنني مؤلف، ولم أعرف لماذا لم تجرب وقع الكلمة على شفتيها! هل تخافها مثلاً؟ بعد فترة بسيطة بدأت تقول للناس إنني كنت مدرس لغة عربية، وكأنها تفخر أو شيء من هذا القبيل.

وقع الزواج. كنت في التاسعة والعشرين وهي تصغرني بشهور، ولم أكن متيقنًا من تلك الحقيقة لأنني لم أفتش بطاقتها، غير أنني دائمًا ما أحسست أنها تكبرني في العمر، كان صوتها الأجش يزيد إحساسي بذلك، وحركتها الثقيلة تعمق النذير الذي تبرزه أعماقي ساعات وأحس الأمر أشبه بالهلوسة، فكيف يمكن لحدسي التقاط إشارات تخالف الواقع بكل هذه الدقة؟!

وإذ بدأتْ معركة من هذا النوع تدور في عقلي، فقد أضيفت إليها معركة أخرى، وهي أنني أشك في فاتن طوال الوقت، وأواجهها بذلك لأتفه الأسباب، ولم أعرف إن كان للأمر علاقة بكونها ممثلة سابقة، أضف إلى ذلك أنني لم أكن راضيًا عن الزيجة، فبدأت العلاقة تتحلل سريعًا.

خرجت ذات مرة إلى الصالة فوجدتها تُدخِّن، وكنت نهيتها عن ذلك؛ أنا مؤلف مسرحي بدأت أكسب من خيالي الجامح، وعرفت طريقي للشهرة في المسارح المتواضعة، ولا يمكنني القبول بما تفعله، ماذا لو رآها والدي؟ ستكون مصيبة. جلست تدخن في الصالة وضربت بكلامي عرض الحائط، صارت مهمومة محزونة، لا يوجد أحد تشكو إليه، تأتيني ببضع من بنات الجيران ويجلسن جميعًا في حلقات نميمة في بيتي، فيصيبني الجنون، تدافع

عن نفسها قائلة إنها تريد أحدًا تكلمه بعدما توقفت عن ممارسة هوايتها، "الضياع في كواليس المسارح" أقولها، فترد: "ومالها المسارح؟! على الأقل عرفتني بيك!"، ثم أشم في كلماتها نبرة سخرية، فيستشيط غضبي. ممَ تسخر هذه المرأة؟ وهل هذا هو الزواج؟

ظللت أدور في هذه الحالة التعيسة، حتى جاء يومٌ قالت لي فيه وهي رائقة، إنها تريد أن نلعب، فاستغربت، ماذا تقولين يا امرأة؟! قالت: ألاعيب الزواج الأولى.. ألم توحشك؟ اندهشت، ما الذي تريده؟ ثم وقعت عيني على ما تلبس. لاحظت أنها تلبس قميص نوم ذائع الصيت لما تريد النساء الإغواء، وتتعطر عطرًا لم أشمه منها قط، ما لهذه المرأة؟! أخرجت من طيات ملابسها قطعة من القماش الأسود وكأنها حاوٍ، ثم طبقتها فانكمش حجمها، ووضعتها على عيني قائلة إننا سنلعب القطة العمياء. هل جُنَّت فاتن؟! ربما يكون نوعًا من ألاعيب النساء. ستلقي طلبها الآن، لكنها لم تلقِ طلبًا، ولم تفعل أي شيء، ثم سمعت حركة مريبة وشدتني قوة هائلة من ذراعَي فأصعدتني للأعلى بعدما كنت في الأسفل. لقد سلَّمتني المرأة للمصحة. وقد سمعت صوت أبي يهمس، ففهمت أنهما متواطئان.

شريهان يحيى

عدت من منزل جدتي بعد يومين فقط، وقد ازدادت حالتي سوءًا، إلى ملجئي الوحيد، بيت أمي، وانغمست بهيستريا في تعاطي أدوية الاكتئاب. مر شهران على تعاطي الأدوية بانتظام ولم أشعر بتحسن يُذكَر، ففكرت في زيادة الجرعة دون أن أفكر في زيارة الطبيب النفسي، الذي كتب لي أدوية أتعاطاها بوعي كأنني مدمنة. سيطر عليَّ شعور أن "الموادبكس" لم يعد كافيًا وحده، خصوصًا بعدما علمت أنه دواء تافه يأخذه كل من هب ودب، "فأي إنسان يجد في نفسه ميولاً اكتئابية يذهب إلى الصيدلية ويشتري الموادبكس" قال لي الصيدلي الذي يسكن في آخر شارعنا ضاحكًا، وأكمل بقوله: "الموادبكس يباع أكثر من الفولتارين.. الناس كلها مكتئبة ولا الصفا مود بقى.. كميات خرافية.. ساعات ناس تدخل وتطلب مضادات اكتئاب شفوي من غير روشتة.. الموضوع بقى علني يا حاجة.. أقولك على حاجة؟ أنا بتعاطى الموادبكس".

فكرت في إضافة دواء "ويلبوترين" بعدما شعرت أن جرعة "الموادبكس" لا تكفي لضبط رأسي، لكنني تراجعت، أحس

برأسي ثقيلاً، فما بالي إن أخذت دواء إضافيًا؟! سيشعرني بمزيد من التثاقل، ومع هذا فقد ظللت طوال الوقت أفكر في إضافة الـ"ويلبوترين" لبرنامجي الدوائي، أو الغذائي لأنني لا آكل تقريبًا، كنت فقط أحتاج دفقة من الشجاعة.

عاد خالي من الإمارات، فاستقبلته أمي استقبال الفاتحين والأبطال، ودَعته إلى بيتنا، فبات فيه وصحا وغدا وراح وغفل واستفاق، حتى كدت أظنه صاحب البيت، ومع أن شقته في الدور الذي يسبق دورنا في منزل العائلة الذي بناه جدي في السبعينيات، فإن خالي الذي قارب الأربعين أصر أن يعيش حياته في بيتنا، دون أي مراعاة لكوني فتاة تحتاج مساحة من الخصوصية والحرية.

صار يتدخل في مناقشاتي مع أمي، حتى ضقت به ذرعًا، لكن العيار انفلت ذات مرة حين تدخَّل بلا مناسبة، ثم أتبع تدخله بتعليق سخيف، فانفجرت في وجهه وقلت كلامًا لم أتخيل قوله لأحد يكبرني في العمر، فما بالي بالخال الذي هو كالوالد؟! عمومًا فقد رد عليَّ ردًّا مطولاً ورفع صوته إلى أقصى مدى جرَّبه في حياته، ثم قال إنه سوف يؤدبني، أو شيء من هذا القبيل، ورحل.

غير أن موقف أمي صدمني، فالسيدة لم تقف بجانبي في تلك الأزمة، بل ساندته، كانت تنظر إليه بصمت وتضع وجهها في

الأرض، بينما يمسح بكرامتي الأرض. تزكيه بتواطؤ خبيث فهمته دون جهد. لم أطِق صبرًا، فانفجرت فيها، فقالت الكلام المعتاد في هذه المواقف، ثم لما انشرخت أسطوانتها شغلت أسطوانة أخرى، وأخذت تُذكِّرني بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان ولا تعني شيئًا لي، لأنني لم أحضرها. أي هراء يقوله الآباء في مثل هذه الحالات؟! وهل يعتقدون أن لمثل هذه الأحاديث عن الماضي أثرًا؟ أخذت تحدثني عن مشاعرها لحظة جئت إلى الدنيا، وكيف كانت سعيدة تلف بي الأرض لتريني للآباء والأمهات والفتيات والجارات والسيدات والحوامل، والمرضعات اللواتي سيرضعن أولادهن حولين كاملين، ثم ما فائدة هذا الكلام؟! أنا لا أعرف عنه شيئًا، أنا أعرف ما أرى، وأدرك ما تقع عليه عيني وما تلتقطه حواسي كأي إنسان، كما أن قصص الماضي السحيق لا تعدل عندي جناح بعوضة، كما لا تعدل مثقال ذرة من تراب عند كل أبناء جيلي؛ لقد تغير الزمن، تغير العالم، قلت لها أكثر من مرة وهي لا تفهم كلامي، لأنها لا تعقله، تأخذ من كلامي موقفًا شخصيًا قبل أن تسمعه. لم يعد لحكايا الجدات والعصور الغابرة أي قيمة في عالمنا المعاصر، لأن الثانية نفسها فقدت زخمها كوحدة من الزمن. العالم يغير وجهه كل كسر من الثانية، والمعلومات ملقاة على قارعة أي طريق في شبكة معلومات دمَّرت

أدمغة الأطفال والمراهقين أمثالي، ثم أين أنتِ من كل هذا؟ ما علاقتك بهذا الموضوع؟ ما أخذتِه نصيبًا من كل هذا سعيك الحثيث لشراء لاب توب وتقسيطه بفوائد مركبة تستمر عشرات الأيام دون أن تعرفي الهدف ولا الغاية ولا توجهات عصر المعلومات.. عصر المعلومات الجديد، الذي غرس رؤوسكم أيها القدامى في عالم من قصص الماضي لا تجدون مرتعًا سواه.

عصام محسن

ما قلته وما فعلته هو ما أقوله وأفعله وما سأقوله وسأفعله دائمًا، أقول دائمًا إن الطريق الذي له بداية يأخذ صاحبه فيه، ولا يفلته إلا بعد بلوغه النهاية، ما هي النهاية؟ لا أحد يعلم، وتلك هي المعضلة، فمهما تصورت في نفسك القدرة على التحكم فإنك ستفقدها في منتصف المسيرة، الطريق هو الذي سوف يتحكم، سوف يملي عليك شروطه ولن يمكنك ساعتها إلا التنفيذ، التنفيذ وأنت صاغر، ما يمكنك اختياره فقط هو الطريق، البوابة التي سوف تدخل منها، أما التفاصيل فإنها سوف تُملَى عليك كما لو أنها كتاب وأنت تطبق ما جاء في المقرر.

وأنا اخترت طريقي وفقدت القدرة على التحكم، كما يقول الدكتور ممتاز، القصة الأولى تبهرني أحيانًا أكثر مما تبهرني الثانية، ثم عندما أنظر إلى الثالثة أجدها الأفضل، أعيد صياغة الأجزاء الناقصة وأرفل في نعيم تحريك الأحداث، وكأنني أفعل ما حدث ويحدث، حيلة أن تحرك حياة الآخرين من وراء ستار تبدو مبهجة، لا، ليست مبهجة لكنها على وجه التحديد مغوية وموغلة في القِدَم وفقًا لما أعتقده، فقد حرك آخرون حياتنا وكانوا

يستمتعون بذلك في الواقع، فكيف كان يشعر من حركوا حياة البشرية من قبل؟ من حركوا الأتباع وتحكموا في عقول البشر وتلاعبوا بالعقول وامتلكوا إرادة أفعال غيرهم، الحكام والنقاد والحمقى والمغفلون الذين وضعت الظروف تحت أياديهم أقدار الناس، فتصرفوا بها بشكل خاطئ وعلى نحو يتوافق مع هبوطهم قاع الغواية، وليس على ذلك النحو المطلوب الذي ينطوي على الإخلاص والقدرة وامتلاك الإمكانية الشخصية والأمانة اللازمة؟ كم شخصًا حركوا الجماهير عبر التاريخ؟ وكيف كان شعورهم بالسعادة مهيجًا ومحرضًا على امتلاك مزيد من الغبطة، بالانزلاق نحو منعرج تحريك الإرادات الأخرى للأرواح التي تهيم حولنا في الفضاء، الذي يتكاثر فيه المتكاثرون كل لحظة وساعة؟

سيبدو مدهشًا أن تسمع من هؤلاء أن الآخرين يحبون الانسياق، وأنهم يرغبون أن يكونوا توابع، ثم سيقول لك أحدهم وهو يدَّعي التنظير، إن البشر يريدون أحدًا يوجه طموحهم، ثم ستعكس الشمس أشعتها فوق وجهه، فيلمع ويقول "طموح بشري.. رغبة جماعية.. ثم ماذا ستفعل أنت؟ عليك أن تطبق الأمر وتقبل رغبة الجموع في توجيهها أيها الطبيب، الطبيب النفسي، ألست كذلك؟ بلى للأسف".

ثم سيقول لك وهو يحرك يديه ورأسه يمنة ويسرة، إن توجيه حيوات الآخرين هو أمتع ما يمتع، وإن الرغبة في توجيه البشر الآخرين تبدأ مختلفة عما تنتهي إليه. تبدأ بمنتهى الإخلاص، ثم بعد ذلك ينحرف التفكير وتنمو رغبة جارفة في توجيه الجموع إلى الاتجاهات الخاطئة.

أحمد هنائي

بعدما نفدت نقودي توسلت إلى الرهبان وخدام المساجد، وبائعي البضائع الذين يصعدون الجبل ليستخدمني أحدهم، كانوا يقلبون شفاههم، فلم يطلب أحد منهم قبلاً طلبًا مثل هذا. ألححت في الطلب وبكيت؛ ها هنا وطني الحقيقي ولا أريد مغادرته، لكن السلام النفسي الذي يغمر الناس في هذه البقعة التي تشبه القرية، يجعل الناس لا يعافرون في الدنيا من أجل أنفسهم، فهل يعافرون من أجل الآخرين؟!

نزلت مُكرَهًا من حقل سعادتي الدائمة ومن تحليقي في الفراغ، إلى العالم السفلي القبيح، وبدأت أتشرب القبح منذ وقفت في موقف مدينة الطور لركوب نوع من المواصلات يرميني في القاهرة. كان يومًا حزينًا كئيبًا باهظ التكاليف، دمَّرني وحطم قدرتي على رسم الابتسامة في وجهي، فحلَّت على ملامحي تكشيرة عابسة، ازدادت لما تذكرت ما قاله صديقي الألماني رودويل، الذي قلب شفتيه بائسًا حين عرضت عليه مشكلتي، قال لي: "يا صديقي المشكلة أن زوجتي الهولندية تقيم معي في نفس المنزل"، وكان يقصد ذلك المنزل الذي استأجره هناك في

حضن الجبل، قلت له: "وماذا عن الجِمال التي اشتريتها؟" قال: "وهل أبيع جمالي لأكفُلَك؟ الأمر يخلو من المنطق. أنا أبيع لوحة أو اثنتين في أوروبا سنويًا ونقودي تكفي زوجتي وجِمالي". ثم قال لي: "سأحكي لك قصة تدلك على أن مالك سيأتيك"، قلت له: "مالك يأتيك على ضعفك" إنها جملة من التراث، هل تعرفها؟ فقال إنه لا يعرف لأنه مسيحي لم يطلع على التراث الإسلامي، لكنه تعلَّم ما يقول من الرسم والتأمل في الجبال، ثم قال: "أثناء الرحلة نحو الفن يكتشف المرء أمورًا عظيمة في رحلة البحث، في المسيرة نحو إنشاء لوحة من العدم يكتشف المرء أمورًا أهم كثيرًا من اللوحة ومن قيمة اللوحة ونقود اللوحة، ثم إنه بعد ذلك لا يكون وفيًا إلا لرحلة السعي نحو الفن، أما الفن نفسه، وأقصد هنا المنتج النهائي، فهو ليس مهمًا بالدرجة الكافية، مع أنه يباع للآخرين ويدفعون فيه أموالاً"، سكت قليلاً ثم أكمل: "أقف لالتقاط الصور أثناء المعارض وأكون سعيدًا وأدخن البايب وأقهقه بصوت عالٍ وأتقمص دور نجم الحفلة، ثم إن كل ذلك ينقشع كمقدار من الدخان أنشأته نار. أيهما أهم: الدخان أم النار؟ ما أقصده أن النار أهم من الدخان، الرحلة نحو الفن هي النار والمنتج النهائي هو الدخان. مجرد دخان يأتي الوقت ويختفي،

قد يتحول إلى غيمة يتذكرها الناس، وقد يتحول لغبار يثيره الهواء قليلاً، وقد يطلق هذا الدخان الوعي".

قال لي: "إن زواجه بامرأته أكبر دليل على أن ما للإنسان يأتيه ماشيًا"، ثم قال لي وكأنه يفاجئني: هل تعرف ما هي قصتي مع زوجتي؟ يبدو أنه تعلم من المصريين. قلت له: ما هي؟ قال: كنت بعد أن استقرت نفسي في حضن الجبل أشعر بالوحدة، غير أنني لما كنت أصعد الجبل وأرى الأجانب يأتون أفواجًا أفواجًا أشعر بالراحة، وأفهم بمرور الوقت أن واحدة منهن ستسقط في حجري، ثم سقطت الهولندية، فعندما كنت جالسًا في كوخي الصغير الذي أقمته لأرسم فيه، وجدت ظلاً يسير نحوي، صُعِقت، فلم يأتني أحد قط في المساء، قالت إنجيلا إنها تائهة، ثم لم تخرج من بيتي بعدها. رأت اللوحات فأعجبتها، ثم باتت ليلتها عندي. وحدث ائتلاف عجيب بيني وبينها ساهم الجو فيه، الصحراء الزاعقة والجبال تجعل وقع الحب مختلفًا قويًا وزاعقًا وبِكرًا، لكنه أيضًا خارق للعادة، يجعل الإنسان يدوخ ويدور حول نفسه.

قال: "سألتني كوب ماء في الصباح، فلم تكن تعرف كيف أعثر على الماء في الجبل، فقُدتها من يدها إلى قمة الجبل وعلمتها أن تنظر للطيور، تتبعها لتجد موضع الماء، تتبعنا الطيور حتى

وصلنا إلى نبع ماء، ثم قلت لها هل تعرفين كم نبع ماء وجدت بهذه الطريقة، سبعة وستون، قلتها ففغرت فاها، ولم أعرف لم وقع في نفسي في تلك اللحظة أنني سأتزوج هذه المرأة، ثم تزوجتها، ولم تعد إلى سيرتها الأولى قط. في البداية كانت تزور أوروبا مرة في العام على الأقل، ثم أخذت زياراتها تقل حتى انقشعت، وصرنا نذهب إلى أوروبا مرة كل خمسة أعوام، هي تزور أهلها في هولندا وأنا أزور أهلي في ألمانيا، لكن وطننا الحقيقي هنا".

حاولت بعدها التلطع في محال السوبر ماركت وورش السيارات المتلاطمة كالأمواج على الطريق السريع، لكن أصحابها كانوا يعطونني ظهورهم، وعندما ذهبت لشيخ الجامع أعطاني ظهره هو الآخر، وقال لي لا أحد يمكنه توظيفك في هذا البلد لأنك غريب، يصعب أن يتحمل أحدهم مسؤولية توظيف غريب؛ الوضع في سيناء مختلف. سيناء كتلة نار. الغرباء هنا يعيشون بنقودهم فقط، مثل ذلك الرجل الألماني الذي يعيش في الجبل مع زوجته الأجنبية، أما أن يعملوا وسطنا فهذا مستحيل.

كنت أغادر وطني وأنا أبكي، وعندما وصل الأوتوبيس القاهرة أحسست بارتياع حقيقي، ركبت سيارة أجرة إلى بيتي، وعندما دخلت، نظر إليَّ أخي وكأنني لم أغب عن البيت سبعة

أشهر، وقال لي: "يخرب عقلك! إنت اختفيت في أي مصيبة؟!"، ثم قال لي والدي التعبير ذاته بعدها بساعات، ولم يدرك هو الآخر أنني غبت عن البيت سبعة أشهر، ثم لم يسألني عن شيء بعدها.

حاتم دغيش

لا أفهم ما الذي جعلها تفعل ما فعلت، لكنني فهمت كل شيء بعدما طلبت الطلاق. طلقت فاتن وعدت إلى المنزل لانتهاء مدتي في المصحة كما يقولون. يقول المتقوِّلون داخل المصحة ذلك ساخرين عمن يخرجون من الحبس، هكذا يسمونه، الكل، المدمنون ومن يقول الناس عنهم مرضى. سيسألني واحد منهم يومًا كيف ترى حياتك قبل المصحة وبعدها، وسأضحك في وجهه. كان طبيبًا بائسًا تعيسًا من أولئك الأطباء الذين يلبسون القميص وفوقه "الجيليه" الصوف في الشتاء، والقمصان نصف الكم المحايدة والبناطيل القماش في الصيف، ويمضي جنب الحائط كأنه سيلتصق به، ويسألني سؤالاً مثل هذا، وأضحك، لا شيء تغير، لاشيء تغير أيُّه التافه، ما الذي تقوله أصلاً؟ ما هذا الهراء؟ من هم المرضى أساسًا، أو من تقولون أنتم عنهم إنهم مرضى؟ ثم من سمح لكم بهذا؟ من سمح لكم بإطلاق الأحكام على الآخرين، بل وسجنهم في أماكن لا ترضونها، وقول إنهم مرضى بملء أشداقكم وأنتم تنظرون في الأرض وتشعرون بالشفقة؟ من أنتم أصلاً أيُّه الأطباء النفسيين لتسمحوا لأنفسكم بذلك؟!

وماذا درستم؟ وماذا فهمتم؟ وماذا تعلمتم؟ هل تعرفون شيئًا حقيقيًا عن النفس البشرية؟ هل قرأتم في علوم الاجتماع كما قرأت أنا؟ إن كنتم لم تقرؤوا علوم الاجتماع فكيف لكم أن تعالجوا المرضى، أو من تقولون عنهم بين قوسين مرضى نفسيين؟ ثم كيف لكم أن تصبحوا أطباء نفسيين من الأساس إن كنتم جاهلين بالظروف الاجتماعية التي تؤدي لانحرافات التفكير؟ كيف تعالجون النفس وأنتم لا تعرفونها؟ هل تعرفون أنفسكم؟ أتحدى أن يكون واحد منكم عارفًا بنفسه عالمًا بعيوبها ونقائصها ومميزاتها، هذا إن كانت هناك مميزات، مع اعترافي بأن الله خلق كل امرئ بمميزاته ثم نزعها هو عن نفسه كما ينزع قنقذ شوكه، أو كما يخلع ثعبان جلده، أو كما تخلع حرباء لونها لتبدله بآخر.

عدت إلى رقدتي الأولى، ولم أعد أرى والدي، ولولا رهطه الذي يصعد إليه أحيانًا من عمال المصانع الذين زاملوه أيام كان يعمل في محارق الغزل والنسيج لفكرت أنه مات. لم يعد الرجل يمر عليَّ ولا يريني وجهه، يرسل لي مع امرأة من الرهط الذي يبدو لي أحيانًا مثل عصابة، بعضًا من أكل وبعضًا من نقود، أنزل لأتمشى بها كما لو كنت طفلاً صغيرًا أو مراهقًا، أو أذهب لأجلس مع فريد في واحدة من المقاهي، بعدما لم أعد قادرًا على

إظهار وجهي في مسرح المؤسسة العمالية، لانهيار صورتي وانهزام وجداني الشرس على يد فاتن، التي حكت للفنانين الصاعدين عني حكايات ما لها رأس من ذيل ومقدمة من منتهى، ثم أقسمت بأنها تقول الحقيقة.

وماذا عن المسرح؟ لم يعد هناك مسرح؛ انكسرت نفسي، ثلاث مسرحيات ستُخلِّدني في ذاكرة التاريخ، إن كانت هناك ذاكرة للتاريخ، وانتهى الأمر، وإن كان الأمر مقتصرًا على تاريخ المسارح العشوائية والهواة فأنا راضٍ، يكفيني فخرًا أنني كتبت وأنجزت ما أنجزت بصدق وإخلاص، وأنني أخرجت كل دفقة من كياني في نصوصي الثلاثة المسرحية، وتلال الشعر التي وضعتها جنبًا إلى جنب وواحدًا فوق آخر حتى صرت أنسى ما كتبت، فذيَّلت كل نص بتوقيع، وكل فراغ في الورق بتأريخ ما كتبت. ستعيش هذه النصوص، أنا واثق من ذلك، لأن ما يجعل النصوص تعيش هو الصدق، الصدق ولا شيء سواه.

قالت فاتن إنني مريض بالشك، وإنني فعلت بها الأفاعيل، أفلا يكفي أنني أنقذتها من العنوسة؟ ثم من سيقبل بالزواج بها بعدي إن كانت سجَّلت رقمًا قياسيًا يتعلق بأقصر زيجة في التاريخ، قالت فاتن لزملاء المسرح إنني كنت أسرح وراءها في

الشوارع لمراقبتها، ثم قالت لهم أيضًا إنني موسوس نظافة وأنزعج بشدة من الأصوات العادية التي يصدرها البشر أحيانًا، فتصيبني أحيانًا حالات من الهياج، فماذا تراني أفعل إن كنت سكنت وسط مجموعة من الحمقى والمغفلين! قدري ونصيبي! لست مسلوب الإرادة، لكنني لم أتمكن من تغيير واقعي والهروب من قوقعتي التي وضعني فيها الأب قبل الأم، والصديق قبل الطريق، والمآل الذي لا هروب منه.

أرقد في الصالة فأسمع صوت الجارة تذاكر لابنها، ثم تقول له ألفاظًا بذيئة ما أنزل الله بها من سلطان. أرتاح في غرفة النوم فأسمع الباعة الجائلين وهم يحطمون طبلة أذني بأصواتهم الناشزة، التي لو سمعوها هم أنفسهم مسجلة على شرائط كاسيت لامتعضوا منها ولأصابهم الجنون، لكن الآخرين يتحملون، وما لي أنا بالآخرين؟ كيف يتحملون؟ لا أعرف، يكبتون مشاعرهم ويقبلون التشظِّي حلاً وحيدًا، باعتبار أن هذا هو الموجود، ثم أن عددًا منهم يعتاد الأمر بعد ذلك ويدمنه، فيقول لك لو أنك نزعتني من هذا المهرجان فإنني لا أستطيع العيش، ثم يحكي لك قصصًا وأفلامًا لإثبات الأمر، مع أنه ثابت. هؤلاء الناس مات إحساسهم وماتت داخلهم الإنسانية، كمن تلطخ بالطين مرات

فاعتاد العيش في الوحول، لكنني -مع كل الأسف- إنسان مختلف، مجهز على العيش إنسانًا، إنسان فقط، هكذا خلقني الله، أفأعترض على ما خلق؟ أفأعترض يا أستاذة فاتن يا فنانة الفنانين؟ أم ماذا أفعل؟ قولي لي أو قولي لنفسك أو قولي للناس، إن كان لديك حل للمعضلة. لكن لا حل لديك، واثقٌ أنا من ذلك، فأنتِ تجيدين الشكوى فقط.

شريهان يحيى

"لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس" من قائل هذه العبارة؟ مصطفى كامل، ولماذا قالها؟ كانت لاحقة من لواحق حادثة دنشواي. وما حادثة دنشواي؟ حادثة وقعت لمجموعة من الفلاحين أعدمهم الاحتلال الإنجليزي مطلع القرن العشرين، لاعتراضهم على أحكام جائرة. حوار أتذكره الآن دار مع أستاذ الدراسات الاجتماعية في الابتدائية، حين كنت أعبر مسيرتي كما تعبر قائدة ماهرة طريقًا مليئًا بالوسخ والنفايات، فتضع قدمها في المكان النظيف بحذر كأنها تلعب باليه مائيًا، لكنها تكتشف في النهاية أن شذرات من الوسخ قد علقت في حذائها، ومنه تسربت إلى قدميها وأحشائها، تلك هي حالي التي لم يتطرق إليها الزعيم مصطفى كامل حين قال مقولته الشهيرة، لا بد أنه كان يقصد بحكمته من لم يتعرضوا لمأساة الخوض في بحار الوسخ والقاذورات الإنسانية، فلو أنه اطَّلع على الواقع الذي نعيشه الآن لتراجع فورًا عما قال، أو لربما غيَّر مقولته فجعلها "اليأس والحياة قرينان" أو "الحياة ممكنة مع قليل من اليأس" أو "قليل من اليأس يصلح الحياة"، أو لبالغ قليلاً وقال "اليأس للحياة مثل الملح للطعام"!

نذرت نذوري ووضعت موضعي الجديد في بوتقة الخروج من الشرنقة، فلا بأس إن حاولت الخروج مما سقطت فيه من بؤس، بعدما ضاعت كل تلال التفوق الذي أحرزته في مسيرتي المهنية أيام كنت طالبة في المدرسة، ما جعلني أجيب الإجابة النموذجية عن سؤال مصطفى كامل مثلاً، لكن ما يدهشني على وجه الخصوص أن مسيرتي أخذت تتداعى من الابتدائية إلى الإعدادية، ثم الثانوية، ذكائي المفرِط أخذ ينهار، فعندما أتذكر طلعاتي الدراسية وإجاباتي الخارقة واللمعة في الأعين المحدقة لي يحاصرني اليأس وأبكي على الماضي، لكن ما يؤلمني أكثر نظرات الشفقة التي أراها في أعين زملاء الدراسة، إذ أقابل واحدة منهن بالصدفة، تسألني السؤال الدائم أين اشتغلت، فأتلجلج في الكلام وأهذي، فتتركني مشفقة وتتلو عليَّ نبأ إنجازاتها المهنية والكم الرهيب من الدورات التدريبية والبعثات والوظائف التي تتقدم إليها كل ساعة. ذات مرة قالت لي واحدة منهن إن التقدم لشغل الوظائف الخيالية مثل الأمم المتحدة مفيد جدًا، لأن تعلُّق الإنسان بأخذ قطعة من القدر يصيبه بشيء منها. ثم قالت لي إن الإنسان لا بد أن يصيبه شيء مما أراد. إنها أمنية، الطبيبة التي يتلاعب بها الشاب الضائع، الذي لا تعرف حتى اليوم إن كان يعمل مديرًا للمبيعات أم قائدًا لفرقة أوركسترا أم موظفًا في خدمة العملاء، مع أنه كان يحلم بأن

يصير رائد فضاء. الإنسان لا بد أن يصيبه شيئًا مما أراد، ومشكلتك يا صديقتي أنك تتطلعين للوظائف المتواضعة، تبحثين فيها كمن يقلب بين يديه كومة من التراب فلا يصيبه في النهاية إلا التراب. ألا تدركين أن عليكِ التطلُّع للوظائف المرموقة أيضًا؟ خوضي التجربة. أسألها: وأين حكمتك؟ ولماذا لا تظهر إذًا في قصتك مع مهند؟ ترد قائلة: أحبه، وإذا أحب المرء فإن الحكمة تصبح عديمة القيمة. أسألها: لكن ألا تفكرين إن أُعدِمَت حكمتك في ميدان عام؟ ترد: أفكر، وهذا ما يقلقني، لكنني لا أجد له بديلاً، ربما إن وجدت بديلاً أتركه، كلما فتحت قائمة فيسبوك أو واتس آب أجده، فكيف أهرب منه؟ همست لها: عمرك سمعتي عن البلوك؟! جربت هذا الحل، لكنه يخترقه ويرسل لي برسائل تخترق فؤادي ويعزف من جديد، وأنا أتحول لمعزوفة في هذه الحالة، هل تفهمين؟ أهز رأسي وتنزلق مني الكلمات: لا أفهم شيئًا، اجعليني بمعزل عن كل تلك الأشياء. تضحك قائلة: لا تخافي؛ أنتِ بمعزل. أفكر في جملتها "بمعزل عن كل تلك الأشياء"! أنتِ لا تعرفين شيئًا، لديَّ أحمد. لماذا لا أحكي عن أحمد؟ أفكر وأجد إصراري على إخفاء قصتي معه لغزًا. أشعر أحيانًا أنني لا أستطيع جرح القصة بالحكاية عنها، فأستسلم وأطبق فمي، لكني يومًا ما سأحكي.

أمشي في الشوارع كالمسرنمة وأحلم، أحلم بلقائه وكلما حلمت حلمًا تزايد لديَّ اليقين بمعيته ورسمت له صورة أكبر في الأعماق، هذا المخزن الذي يشع فيما بعد بأحداث الواقع. أنحرف يمينًا ويسارًا في الشوارع، وأعرف أن كل تلك الحركات ما هي إلا إرهاصات لذلك اليوم الذي سأمشي فيه بطريق لأجده أمامي، واقفًا بيقينه ومخاتلته وعالمه الذي يغمرني فيه لما يتكلم. إذ يتكلم يبدأ كل شيء، لكن ماذا لو أن أحمد لا يتكلم، لو أنه صامت مثلاً، لم أكن لأتعلق به دون أي شك، كنت فقط سأظل واقفة على ناصيته دون الانزلاق إلى المنعرج.

سيقول لي بعد ذلك ما يدهشني وما لن أصدقه كليًا، لأنه عصيٌّ على الفهم. سيقول لي: إنه كان يفكر في بنفس الوقت وبنفس الطريقة أثناء تسكعه في ذات الأماكن، أقول له شارع الدقي فيقول لي شارع الدقي والجيزة وطريق بين السرايات، سيقول لي: كانت صورتك تأتيني لترسم نفسها أمامي بينما أنا ماشٍ في الطريق، فأفهم أنكِ تفكرين في باللحظة ذاتها، لكنني لا أعرف أين تمضين لتفكري في، فأقول له: لو أنك نظرت إلى الناحية الأخرى كنت ستجدني أتسكع، فيقول لي إن الإنسان إذ يفكر وهو ماضٍ في طريقه فإن حواسه تتعطل كليًّا، لا يرى ولا يُرى.

التقيته ذات مساء في ساحة تقع في شارع طلعت حرب، رأيته يقترب مني ثم جلس بجواري، وعندها توقف قلبي، كنت أجلس برفقة صديقة لي تُدعى فوزية، تعرفت عليها في دورة تدريبية من الدورات التي أتلقاها لعلاج الملل وقتل الفراغ والاكتئاب. صُعِقَت الفتاة لما رأت هزة أعماقي لما سلم عليَّ أحمد. تكلمنا بضع دقائق، وأعدنا تبادل أرقام الهواتف، ولما تركته لإلحاح صديقتي المتكرر وقفت أمامه بضع ثوانٍ، وكأنني أتأكد أنه موجود أمامي وأنني لا أحلم.

قال لي إنه أتى للقاء سيدة لترتيب درس كومبيوتر لمجموعة من تلاميذ المدارس الأمريكية، وإنه لم يجد السيدة في المنزل فقرر التسكع حتى تعود، بدلاً من إعادة كرة الهبوط إلى عالم وسط المدينة المزدحم، وعندما تسكع في المدى وصل إلى ميدان طلعت حرب، فالتقاني بدلاً من السيدة.

وإذ عدت إلى المنزل فقد بعثت له برسالة لما وجدت هاتفه مغلقًا. كلمني لما صحا، وبدأت أستعيد سعادتي معه من جديد وأحكي له كل ما مضى وكل ما أحلم أن يكون، قال لي إن صدفة لقائنا ليست هباء، ثم سألني لماذا جلست في تلك البقعة تحديدًا، قلت له لألتقيك، قال جلست في المكان الوحيد الذي يجعلني أراكِ

من كل الزوايا. قلت له إنني أصررت لسبب لن تعرفه أبدًا الفتاة التي جررتها ورائي على الجلوس في مقهى الليل الهادي بعدما اشترينا آيس كريم من محل حلويات شهير. ثم زدت وأنا أشعر بوقع الكلمات مثل طبل في أذني، وكأنني أتلقى الكلمات ولا أقولها: "كنت أعرف أن شيئًا ما سيحدث، وقد حدث ما توقعت".

عصام محسن

أشاهد مجموعة من الأفلام عن المرض النفسي، هناك خطأ في الترميز، خطأ يحدث في قراءة البيانات بالعقل البشري لدى المرضى النفسيين، كما يحدث في الكومبيوتر تمامًا، فعند قراءة البيانات بطريقة خاطئة يتوقف الحاسوب عن العمل، وهذا هو ما يحدث في العقل البشري. أيهما يمكن مقارنته بالآخر: العقل البشري أم الحاسوب؟ وأيهما النموذج للآخر؟

أستدعي حلقات العلاج التي تلقيتها على مر مسيرتي المهنية، والتي مرت عبر التاريخ، فقد جمعت كل ما يمكن جمعه في هذا الإطار. ووجدت أن الخطأ الذي يحدث في قراءة البيانات غير محدد الهدف في عقل المريض، خطأ عشوائي يشبه ذلك الناتج عن الفيروس الذي يهاجم جهاز الكومبيوتر، المرض النفسي يشبه فيروس الكومبيوتر، ثم ماذا إذا كان الحاسوب محصنًا بمضادات الفيروسات؟ لا يستطيع الفيروس اختراقه، وهذا ما يحدث في العقل البشري أيضًا. فعندما يهاجم فيروس المرض النفسي إنسانًا محصنًا فإنه يفشل في اختراق عقله، وهو ما يحدث مع ملايين

البشر حول العالم، بل إنه حدث معي شخصيًا ويحدث طوال الوقت.

المشكلة الوحيدة للمرضى النفسيين أن مناعتهم ضعيفة ضد فيروسات العقول، أدمغتهم ضعيفة وهشة، ربما بسبب الجودة المفرطة لها في بعض الأحيان. ليست المشكلة أنهم هوجموا بفيروس قوي، لأن الفيروس في النهاية شر عشوائي يصعد في الرأس، غير مرتب الكينونة ولا واضح التوجُّه، الخطر الأكبر مبني على عشوائيته التي تدمر العقل البشري بأن تشيع في خلاياه ذلك الخطأ في الترميز، الخطأ الذي يوزع الترميز الخاطئ للأوامر وينشر وصلات الربط غير المنطقية بين الأحداث.

المشكلة أن المريض لا يشعر بهذه الفوضى التي تجري في عقله، فيستقبل الأوامر الخاطئة وينفذها، وتنبني الفوضى من هذه اللحظة الأولى، منذ ذلك الخاطر الأول الذي يشيعه الفيروس في العقل وبعدها تصعب السيطرة على الأمور، الترميز الخاطئ يصبح عموميًا في المحرك الرئيسي للعقل، ويتحول إلى قانون، الأزمة تكمن في كيفية التخلص من الترميز الخاطئ، والقانون الجديد الذي حل بدلاً من السيرة السوية للعقل، وهو أمر لما دققت النظر فيه وجدته معقدًا للغاية. التخلص من المعتقدات الخاطئة

صعبٌ للغاية، بل إنه أصعب شيء في الوجود، فلا بد من غسل العقل أولاً ثم إحلال معتقد صحيح بدلاً من الخاطئ. لكن تلك ليست الأزمة، الأزمة الرئيسية أن العقل يعتاد على المعتقد الخاطئ، بل إن الاكتشاف الأهم أن العقل يدمن المعتقد الخاطئ، ثم أنني بعد فحص وبحث وتمحيص وقعت على السر الأكبر، وهو أن العقل عمومًا يميل إلى المعتقدات الخاطئة.

أصخت السمع إلى صوت عقلي وأخذت على عاتقي المهمة الأكبر، الاندماج في أزهى صوره. الخروج المريع للعالم مع الحفنة المفحوصة من المرضى، دعوتهم جميعًا للخروج ثم التقينا في كافيه، لم تكن شريهان تأتي المصحة، كانت مريضة من الخارج، من منازلهم، وكان الفتيان الآخران مبتهجين فرحين وأنا أجرهما من أيديهما إلى الكافيه، ثم أنهما ابتهجا وفرحا أكثر لما جلسا بالقرب من شريهان.

كانت الفتاة رائقة، صغيرة في السن، وفيها جاذبية لا يُعرف لها رأس من قدمين، تنبعث من بقعة غير معروفة في جسدها، جسدها ولا شيء سواه، ثم إن تعبيراتها في غاية الجاذبية، تجذب من يتنفس هوءاها كأنها مغناطيس حر يدور في الفراغ، انفعالاتها مضبوطة بشكل لم أعهده، تستطيع بزم شفتيها أن توصل المعنى،

وبوضعهما على جانب وجهها توصيل رسائل لا يوصلها الكلام. هناك شيء داخلي فيها يتجاوز الأنوثة إلى مرحلة أعلى، شيء تدركه هي ولا أعرفه ولا تعرفه، هل تعلم أنني أفكر فيها هكذا؟ أنا واثق أنها تعلم، تعطيني إشارات بوجهها تؤكد أنها تعلم، لكنها من النوع الذي يُرحِّب عمومًا بالتخاطب بهذه الطريقة، طريقة الإشارات والإيماءات، لكن إن انتقل الأمر إلى لغة الكلام تتحول إلى ذئبة شرسة. تحب شريهان كل ما يمور تحت السطح ولا تحب الأشياء الصريحة، لا تحب التصريح أبدًا، تفضل أن تظل الأمور هكذا كما يحدث بيني وبينها، تحب من يفك شفرة ترميز عقلها ويتعامل معها بنفس اللغة.

وصلت شريهان إلى ما لم يصل إليه كثيرون خلال رحلة بحثها في عالم الجن والعفاريت، وقد استعانت بقوتهما –على ما يبدو– لإظهار أنوثتها بشكل أكثر إثارة، أو أن الجن والعفاريت وضعوا ذلك المقدار الذى يبدو مثل الشطة على جسدها دون أن تدري. هل تعرف ما يحيق بالعالم حين تضع ساقًا فوق ساق وتظهر قدميها البضتين في بنطلون جينز ضيق، وتترك كعب قدمها سائحًا في الفراغ على حذاء بلا رقبة ولا قاع؟ هل تفهم ما يحدث عندما نتبادل الإثارة ويبدأ وجهها في تلقي الإشارات؟ ثم هل

تعرف ما يحدث عندما يبدأ وجهها في ارتداء ثوب المرحلة التالية، وهي مرحلة ردود الأفعال؟ تتلقى الإشارات من حولها بمنتهى البساطة، وهي جالسة في مكانها تهتز وتضع القدم فوق القدم، وتشعر ببعض الاضطراب، وسبب الاضطراب الذي أعرفه وحيدًا هو الإشارات الداخلية الغارقة فيها، التي تتلقاها وترسلها.

سألتها مليون مرة عن وقائعها مع الجن. قالت: "أتوني في النوم ثم أخذت أقرأ القرآن، شعرت أن جسدي متخشب لا أستطيع تحريكه، وبدا لي كما لو أن أحدًا يُكتِّفني، أو أنني أصبت بالشلل، كان شعورًا فظيعًا، وقد تمنيت أن أكون في حلم ليس إلا". قلت لها: "ومن أدراكِ أنهم الجن؟"، قالت "فمن يكونوا؟"، قلت في سري لا أعرف من يكونوا، لكن يبدو أن زحام الإشارات يتصاعد أحيانًا في العقول لتكوين موقف وحالة لم تحدث من الأساس قبل إلصاق التهمة بالجن.

ثم قالت في مناسبة أخرى: "أتاني أحدهم، رن الجرس، فتحت فوجدته. شاب وسيم جدًا يلبس قيمصًا أبيض ولم أر بقية تفاصيل وجهه، كان ضاحكًا مبتسمًا، ظهر أمامي فترة من الزمن ثم اختفى بعد أن جلس قبالتي لحظات على السرير، لكنه جاءني في نومي أكثر من مرة، هزني من أعماقي"، هل تكون الرغبة

الجنسية هي السبب في هذا الحلم؟ هل تصاعدت حتى بلغت هذه الذروة، أم أن الإشارات الجنسية التي تتلقاها وترسلها تراكمت لتصنع هذه الحالة، كما يحدث فيزيائيًا في التفريغ الكهربي مثلاً؟ إنه الكبت على ما يبدو.

بدا الفتيان فرحان وهما يحركان أرجلهما في الجلسة النفسية التي قدمتهما إليها دون أن يعرف أحد في المصحة، أخرجت أحمد هنائي وحاتم دغيش على مسؤوليتي الشخصية واستدعيت شريهان، لكن شعور شريهان كان مختلفًا، فقد كان لديها شيء من القلق لوجود حاتم وأحمد. بعد فترة تكلم الرجلان بشكل واضح عن المصحة وحفرة المرض النفسي التي سقطا فيها، بينما كبحت شريهان فمها وحاولت الإخفاء، لكنهم جميعًا بعد فترة انطلقوا في الكلام وبدوا كزملاء في الجامعة، بغض النظر عن أن حاتم يسبغ شعورًا غريبًا بالعظمة على نفسه.

أحمد هنائي

لما مكثتُ في المنزل عدت إلى حياتي السابقة، كمن يترك جحيمًا ثم يعود إليه. المكان خانق جدًا، له ملامح غائمة. الشقة الأخرى -يسمونها هكذا في البيت إشارة إلى كونها الاحتياطي الإستراتيجي- التي قررنا فيها "التوسعة على الأطفال الذين خلفناهم" تقول أمي للجيران. للشقة نافذتان وبلكونة واحدة، وإذا فتحت أيها ستنفتح عينيك على مناظر لا تسر عدوًّا ولا حبيبًا، سيارات قديمة نسيها البعض في الشوارع وعربات كارو ترمح وراء بعضها كأنها في سباق، ما الذي يمكن أن يدعوني إلى التفاؤل إذًا؟

أكتب قصتي كل يوم في أوراق بيضاء، لكنني أشعر بالتعاسة المفرطة، وأتوقف عن الكتابة عندما يحل المساء. فحين يسدل المساء أستاره يصبح شيئًا ثقيلاً حتى النفس، وتبين الكوارث التي يعيشها المرء أكثر حين يكون وحيدًا، فيشم الروائح الخبيثة أخبث ويرى الأسود أكثر سوادًا ويحس بوطأة كل ثقيل.

تنازعني الأهواء التي كانت تنازعني إذ صعدت إلى رحلة الجبل، تلك الرحلة الروحانية التي قربتني من نفسي، وعرفتني على

نفسي كأنني لم أكن، أو لكأنني صرت إنسانًا آخر منذ ذلك الحين. القرب من الطاقة الروحانية فوق جبل الطور جعلني أتعمق في الدين، وها أنا ذا أواصل مسيرتي هنا، بدأت أنغمس في القضايا الدينية وأخلطها بالواقع، تسيطر على تفكيري وتأتيني كخواطر لا يمكن مقاومتها، وهل يمكنك مقاومة السيل الجارف؟

لم تكن مهمتي التقشف والصوفية. لم آخذ هذا الاتجاه، لكن العلامات والإشارات بدأت تأخذني إلى اتجاه آخر. اتجاه لا أعلم منبعه، لكن يمكنني القول إنه قائمٌ على الماضي.كل الأحداث أربطها بما كان وبقصص دينية وقعت في الأزمنة الغابرة، ما وقع في الماضي يفسر الحاضر ويدل على المستقبل، إنها معتقداتي التي تكونت في الجبل، الموضع الصوفي. وإذ قلت مرة لرودويل إن الجبل في أصله موضع صوفي فقد اندهش، لدرجة أنه قعد بعدما كان واقفًا، أخذ يجادلني لفهم معنى الصوفية، ثم لما فهم المسمى انبهر به وأبحر في عوالمه. قال لي مرارًا وتكرارًا إنني فتحت له بابًا كطاقة القدر، ثم قال إنني ساعدته كثيرًا في مسيرته الفنية بهذه اللفتة البسيطة. "هل رسمت لوحات صوفية؟" سألته فضحك وقال: لا لكن ما اطَّلعت عليه أضاء لي بصيرة فنية، كأن تكون مطفئًا نور الصالة ثم ينفتح لك نور جانبي فتجلس تحته كطفل

لتنهل من ضوئه وكشفه. اعترف لي بالفضل قائلاً: "فعلاً الجبل في جوهره موضع صوفي.. يتعين إبرازه حتى في اللوحات الفنية من هذا الجانب"، الوحيد الذي لم يعاملني كمجنون كان رودويل، ولم أفهم السبب في ذلك. أيعود ذلك لكونه أجنبيًا؟ يبدو أنه مجنون هو الآخر. ذات مرة صارحته بهذه الحقيقة فاهتز حتى قعره، ثم قال لي: لماذا تقول إنني مجنون؟ قلت: تركت بلدك وقبعت في جبل وأخذت ترسم اللوحات وتقيم عروضًا فنية في أوروبا بعيدًا عن الجبل الذي لجأت إليه بآلاف الكيلومترات، ألا ترى في ذلك جنونًا مطلقًا؟ قال بدهشة: أين الجنون يا صديقي؟! قلت: ألا ترى أن قصتك غريبة؟ قال بذهول حقيقي: أين الغرابة؟! ثم أكمل وهو حزين: "أنتم فقط تتهمون بعضكم بالجنون إن خرج واحد منكم عن السياق أو كان مختلفًا أو أراد أن يكون، فحتى سياقات الأفعال اليومية في بلدان الشرق محددة بسياج غاية في القوة. إنكم تنعتون بعضكم بعضًا بالجنون طوال الوقت، وإن لم يكن الوصف وجهًا لوجه من باب السخرية الخبيثة التي تجيدونها، فإنكم تتقولون على بعضكم بعض بهذا الاتهام دون غيره، بعد أن يغادر الواحد منكم الآخر".

من هو المجنون؟ ومن هو العاقل؟ سألته فأجابني: لا مجانين ولا عقلاء، التقسيم نفسه غير عادل، فماذا يضيرني أنا إن كان العالم كله عقلاء أو مجانين؟ فماذا تريد من الحياة إذًا؟ سألته فأجاب: "أن أظل هكذا كالطير محلقًا في بلاد الله". أريد البقاء أنا أيضًا كالطير محلقًا في بلاد الله، لكن الآخرين يريدون مصادرة حريتي وإيداعي المصحة، وكأنهم يحققون طموحهم بوضعي في الحبس ليتأكدوا أنهم عقلاء.

أعوم في بحار الذكريات ولا أنسى أبدًا رحلتي في مملكة الجبل. أربط قصصي القديمة بالأيقونات الدينية التي أعمل على استعادتها من كتب التراث ليلاً ونهارًا. كل الأمور تسيح على بعضها، وأتوقف عن التفكير لأعود مرة أخرى، أصوات وأشباح باتت تتراءى لي، أرى طيورًا لا أحد غيري يراها، طائر برتقالي يقف على ناصية بيتي، وأدرك أنه مبعوث لي، ولا أعرف لمَ أتلقى الإشارة بهذا الشكل.

فكرة أنني مختارٌ تعود، وإلا فما هي دلالة ما أرى وأسمع؟ صوتٌ من الماضي يطاردني ولا أعرف كيف أفك شفرة الرسالة العجيبة التي يريد إيصالها لي، الكل أجمعوا على أن الصوت ليس حقيقًا وأن ما يحدث محض هلوسة، لكني لا أصدق، ولا أستطيع

نبذ الفكرة، الصوت يطاردني، لا أنساه ولا أنسى وقعه، قال كلمتان: "ماجد وعائشة"، من هو ماجد؟ ومن هي عائشة؟ أفكر ساعات في دلالة اسم ماجد ثم لا أصل إلى شيء، ثم من هي عائشة؟ زميلة في الجامعة كنت أحبها. لكنني لم أعرف طوال حياتي شخصًا اسمه ماجد. ركزت في الدلالة التي يمكن أن يحملها الاسم، هو اسم من أسماء الله الحسنى، بحثت في مخطوطات عن الدلالة التي يمكن أن تضعه في سياق مفهوم مع اسم عائشة، فانفتح الباب على عشرات الدلالات، ما الذي كان يريد الصوت قوله لي؟ لا أعرف.

حاتم دغيش

جاءني طاهر ذات ليلة. مضى متظارفًا في أرجاء الشقة وتصنَّع أنه لا يعرف ما حدث لي، فأدركت أن خبري انتشر؛ تصنُّع الإخفاء دليل ذيوع، وأنا أعرف ذلك جيدًا. جلس أمام منضدة موضوعة عبثًا بالصالة وأخرج من طيات ملابسه زجاجة خمر وجلس يصب لنفسه منقوع البراطيش الذي يشتريه من محال وسط البلد، المكتوب على عبواته أنه صُنِع من الكروم والعنب وكل الثمار المسكِرة وتوضيح غير فعَّال بنسبها المئوية، كأن صناع الخمور يريدون أن يضحكوا على الزبائن العارفين بأن ما يشربونه منقوع براطيش. يقول الواحد منهم لك منقوع براطيش وهو ضاحك مغتبط، كأن نفرًا غيره سيشرب، أو كأنه يسخر من نفسه، أو من الحياة التي أجبرته على اللجوء لسوائل حارقة، كي يكمل مسيرته وينشط عقله الباطن كما يخرف طاهر.

تمكن الغيظ مني لفعله، فقد صرت أهتاج لأقل سبب، زادت حساسيتي لما أكره، فأصبحت أتغضَّن إن سمعت صوتًا لا يروقني وأتقلب إن رأيت حصاة في المنزل، وأتهيب إن رأيت طائرًا أو زاحفًا فوق حائط من الحوائط، ويهتز عرق في كتفي من شدة

الغضب. تلك الصراصير التي تطير في الليل صارت تنفخ مقلتي من قلة النوم وأصارعها ليل نهار، وأنا أصارع بقية مخاوفي جاريًا وقائمًا ونائمًا ومحاذرًا، أرجو رحمة ربي.

عزم عليَّ بالخمر الذي جلبه. أصر كما هي عادته فاختنقت؛ زعقت في وجهه فانخطف لونه وهمد. تذكرت أنه في بيتي ولا بد من معاملته بطريقة أفضل؛ قمت فصنعت له كوب شاي، ولما وضعته أمامه غرق في ضحك عظيم. قال لي تأتيني بشاي وأنا أسكر! فالتفت إلى التفاته وأخذت أضحك بجواره، ونهتز كأننا في مسرحية كوميدية.

وضعت أمامه أسفاري وقلت له إنني وصلت مرحلة من الكشف تستدعي أحيانًا جلسة خلوة في المساء، فقال مندهشًا: وما جلسة الخلوة تلك؟ قلت له: "هي أشياء لا تُشترى"، فضحك لاستعارتي، ثم استعرت آية من القرآن، فقلت له: "أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُم تَسُؤكُم"، فلم يضحك.

قال لي: وأين تكون الخلوة؟ قلت له: في الصالة، فغرق في صمت عميق وقال: ولكننا الآن في الصالة، فقلت له ببساطة: بعد دقائق ستنتقل إلى الغرفة الداخلية حيث سريرك، فقال ضاحكًا بشكل استفزني: عندما يحين الأوان قل ولا تؤخر

خلوتك، ثم قام بعدما سكر فدخل الغرفة ونام فيها كما أمرته، وعندما صحا من نومه وجدني جالسًا في الصالة محدقًا في السقف، أضع إناء من الماء أمامي. سألني فقلت له: الخلوة، فكتم ضحكة ثم أفلتها، فأخذت أزعق.

قلت: ما يضحكك يبكيني، قال: وما يضحكني يبكيك، معادلة رياضية لا يمكن إنكارها. له ظرف هذا الفتى يغفر له سخافاته، بغض النظر عن ظهره المحني طول الوقت للأمام، وأكله الشَرِه بطريقة ينفر منها البشر، وجنونه المطلق وحبه المروِّع للخمر الرديء، لدرجة تجعله يستلف من الناس النقود للبقاء سكرانًا بدلاً من البقاء حيًا، فلا يأكل ولا يشرب الماء مقابل جرعة خمر، حتى جفَّ جسده فأصبح عودًا ناشفًا وهو بعد في الخامسة والثلاثين.

قال لي بعد أن سكر: هل تعلم ما هي سن الخامسة والثلاثين؟ إنها الوتد، الوتد الذي يصير الإنسان إليه، فلا توجد سن أكثر اكتمالاً، إنها السن الوحيدة البعيدة عن حماقات الطفولة وغيامات الكهولة والشيخوخة التي تفطر القلب وتحطم الروح. قلت له بعدما لاحظت أن الكلام بات نخبويًا: هل تعرف أنهم طبعوا كتابي؟ قال: من؟ قلت: الحكومة. فضحك حتى استلقى، قال: أي حكومة؟! فقلت له حكومة البلد الذي نعيش فيه، ثم

أخذت أشتم كالمعتاد، قال لي هل ذهبت للحكومة وطالبتها بطبع الديوان؟ قلت مقاطعًا: قصدي هيئة الكتاب، فانتبه إلى أنني سأخرج عن طوري، فتصنَّع الجدية وقال لي: وأين هو الكتاب؟ فقلت له: ها هو، ثم أخرجته من درج، فأخذ طارق ينظر إليه وهو مندهش دهشة لم ألحظها في عينيه من قبل، وكأنني أسقطت بين يديه ماسة.

قلت له لما تمطَّى إنني أنوي كتابة كل ما يلوح لي في جلسات الكشف التي أنغمس فيها في الصالة، فضحك وقال: ما الذي يمنعك؟ قلت له: أنتظر الاكتمال. قال وقد زاد ضحكه: اكتمال أي شيء؟ قلت: اكتمال الكشف.. الكشف ليس حدثًا عابرًا. الكشف يتطور ويكتمل، وقد يبدأ من نقطة صغيرة ثم يقف عندها، فيضحي نقطة صغيرة كما بدأ لا قيمة له في النهاية، ثم سألته: هل تعرف أن الشعر كشف؟ فانتبه وبدا موافقًا وانبهرت ملامحه، ثم قال وقد تحمس: طبعًا الشعر كشف، قلت له: الآن تحمست لأنك شاعر، قال: لا.. لأن ما قلته لمس نقطة في فؤادي.. الشعر كشف. ثم أخذ يردد كلمتي، فسألته كأنني أختبره: كيف ترى الشعر كشفًا؟ قال لأنني أشعر أن القصيدة تُملَى عليَّ، فأجبته: ما تحكي عنه يسمى الإلهام.. أنا أكلمك عن

الكشف، الكشف هو تلك النتف الصغيرة التي تعلق بكل إلهام، بكل قصيدة إن كانت قصيدة، هل تفهم ما أقول؟ لم يبدُ فاهمًا لكنه انتبه ووقفت أذناه دلالة الانتباه، كانت الساعة بلغت التاسعة صباحًا وأنا وهو جالسان نتكلم، ثم مر رجل يبيع الأشياء المستعملة في الشارع، فناديته. دعوته لكوب شاي، فظن طاهر أنه صاحبي، لكن الرجل بعد لحظات قام فحمل البوتاجاز من المطبخ ومضى، فبهت صديقي وقال وهو يكاد يغمى عليه من الضحك: أنت بعت البوتاجاز؟! قلت له: نعم بعت البوتاجاز.. لا مال لديَّ، هل لديك مال؟ فسكت، وعدل ملابسه ثم مضى يجري وراء بائع الروبابيكيا.

شريهان يحيى

بعد عودتي المخملية لأحمد بيوم واحد اتصلت به منهارة، قلت له إن هناك خلافات مع أمي بسبب خالي الذي يرمح في البيت كقطار، لدرجة استدعت خروجي من المنزل بلا وجهة، ثم قلت له في النهاية إنني فكرت في إقفال هاتفي والتحلل بلا عودة في الشوارع، فانزعج بشدة كما هو شأن الرجال عندما يسمعون هذه الأخبار، ثم بدأ صولة من الوعظ والإرشاد تخللها الحنان والتحنان، فاستجبت كأنني قطة، ونذرت في نفسي خاطرًا، وهو أنني فقط كنت أحتاج إلى التحدث معه.

يقول لي أحيانًا وهو يكلمني كلمة "حبيبتي"، ولا أدري لم أدفعه دفعًا وآخذ الأمر بشكل من أشكال التهريج، ولا ألبسه ثوب الجد أبدًا، هل يُعَد ذلك نوعًا من الأدب الزائد مثلاً؟ ذات مرة قلت له القول الشائع: "حَبَّك برص وعشرة خرس" فلم يرد، ما يبهرني في هذا الإنسان عادة من أكثر العادات قربًا لنفسي، وهي أنه يتجاهل ما لا يعجبه، وينفذ إلى ما يعجبه كالسهم، وهو الإنسان الوحيد الذي قابلته في الحياة الواقعية يتمتع بهذا التمتع

وبهذه الميزة، وإذ قارنته بالممثلين الأجانب كما تفعل كل الفتيات، فقد وجدته يتصرف بنفس طريقتهم في هذا الجانب.

قلت له ذات مرة إنني أريد شراء كلب، فاستغرب بشدة، فهو من النوع الذي تزعجه مثل هذه الأفكار، ثم أنه على عداوة غير مفهومة مع الحيوانات الأليفة، لا يعتقد أنها أليفة، ويقول دائمًا: ما الذي يدعوني إلى تربية كلب أو قطة في البيت؟ وهل أنا أبله؟ القطط والكلاب تملأ الشوارع. قلت: وهل تظن أنني أريد تربية كلب من باب الرحمة بالحيوانات؟ سألني: إذًا فلماذا؟ قلت له: ليحميني. لما تصل الأمور إلى تلك المرحلة في النقاش يحاول التوغل في أفكاري بدلاً من رفضها، فيمشي ملوِّحًا بيديه إلى جواري في الشارع، ويقول: أي نوع من الكلاب تريدين؟ أجبت: الجيرمين. سأل: لماذا اخترتِه؟ قلت بحماس: لأنه يحوم كالفراشة ويلسع كالنحلة ويفترس من كف اليد، أداة الإيذاء والتعدِّي الأولى لدى الإنسان. أجاب مدعيًا الاندهاش "كلام معقول" غير أنه في نهاية النقاش أصر على رفضه الشخصي الشديد لفكرة تربية أي حيوانات في أي منزل.

قلت له: "عاوزة أشرب حشيش.. ممكن؟" فقال: ممكن طبعًا.. عادي إنك تجربي. ثم قلت له وأنا جالسة معه في كافيه

قريب من بيتي، أتسلل إليه لما أحس الملل: أنا شربت سجائر. أسقط في يده كأنني أنبأته بخبر وفاة والدته، ثم قال: لماذا؟ اخترعت كذبة عجيبة، فقلت إن صديقة مرت عليَّ في البيت واشترت علبة سجائر، ثم عزمت عليَّ بسيجارة. حزن من أعماق قلبه ثم قال إنني لا يفترض بي الانزلاق إلى تلك الهوة، ولم أدرِ لمَ اعتبرها هوة! فقلت له: لماذا تعتبرها هوة؟ الشاب يشرب سجائر عادي والبنت لا؟! التفرقة حتى في التدخين! فقال: معطياتك لا تؤدي بك للتدخين، فلا تدخلي بنفسك شيئًا ليس منك. فاقتنعت، لكنني تعويضًا عن إحساسي بالذنب صرت أشهده على نفسي كلما دخَّنت سيجارة. أدخن سيجارتين في اليوم. أخبرته بالطريقة التي ابتدعتها، أقفل باب غرفتي عليَّ وأشعل البخور وأشغل المروحة وأفتح النافذة، فيتوفر لي مناخ يسمح بالتدخين، "أربع اشتراطات: أن يكون أهل البيت نيام، وإشعال البخور، وتشغيل المروحة، وفتح النافذة.. يا لها من اشتراطات كثيرة! كل هذا من أجل سيجارة؟! كثير!" قال فأجبته: "أشعر أنها تهدئني.. لما يدخل الدخان فمي أدوخ فأستطيع النوم بسهولة".

أخبرته أنني آخذ أدوية اكتئاب دون أن أفكر، فأنا لا أستطيع إخفاء شيء عنه مهما بدا مؤسيًا ومريعًا. أشعر وكأنه

نافذتي الوحيدة على العالم. تعامل مع الأمر بهدوء وكأنني قلت شيئًا عاديًا، عادته ولن يشتريها. قلت له إنني أتطلع لزيادة الجرعة فلم ينزعج ونصحني بتعاطي "ويلبوترين" مع "موادابكس". سألني بعد هذا الحوار بأسبوعين عما فعلت، فقلت له إنني توقفت تمامًا عن تعاطي أدوية الاكتئاب.

قلت له ذات جلسة إنني مللت القعاد في المنزل، فأخذني من يدي إلى صديق له يعمل في التسويق العقاري، كانت الساعة العاشرة مساء، وعلى الرغم من ذلك كان صديقه محمد هذا كأنه صاحٍ من النوم توًّا، شركته ناقصة التأسيس لها طابع قديم نوعًا ما وتخلو من كل ما هو حديث، ويبدو على محمد نفسه البؤس. كيف سأعمل معه؟ ليزيدني بؤسًا على بؤسي! بعدما خرجنا قال: ما رأيك؟ قلت: استحالة طبعًا أشتغل معه، فشعر بالضيق وقال: ماذا تريدين وأنتِ في بداية حياتك؟ قلت: أريد شيئًا يناسبني. وضعني في تاكسي وركب بجواري في المقعد الخلفي. كنت سعيدة برفقته، حتى اتصل أبي فعطل صفوي. أخذ يحاسبني على تأخيري. اتصلت به أمي كالمعتاد وقالت إنني غائبة عن المنزل حتى الحادية عشرة، فاتصل وكأنه سبع السِّباع الذي سيعيد الحق لأصحابه. أجبته إجابات مقتضبة وتعاملت مع مكالمته كأنها

شيء هامشي، وهي في الحقيقة كذلك. أمي تعكر صفو حياتي دائمًا بهذه الحركة كلما فعلت شيئًا لا يعجبها، تتصل بأبي فيتصل بي، فأظل مثل كرة البلياردو الحائرة أرد على هذا اتهامات قالتها هذه، وأشرح موضوعات لطرف غائب، وأعيد بناء قصص حكتها أمي بشكل مشوَّه له لتنتقم مني وتستنهض هِمته. أي هراء يعيشان فيه؟! وأيهما يريد لي الغرق في هرائهما؟! قلت لأمي مرة إن كنتِ تتصلين به للشكوى فلمَ لا تتزوجيه من جديد! فقالت إنها تفكر في الأمر، ثم استمرت في تعرية الواقع قائلة: "إن استمرت قلة أدبك فسأعود لأبيك"، وكأن رجوع المطلقين لحظيرة الزواج عقوبة شخصية لي، فهل أنا التي زوجتهما؟

بدأت أضغط على أحمد لخلق وظيفة لي من تحت الأرض، فضاق خلقه من كثرة الإلحاح. خفت أن ينفلت العيار فانفلت، فحين كنت أكلمه ذات مرة في هذا الموضوع انهرت وانفجرت، فقلت له إنه نصحني بالعمل باعتباره الحل الوحيد، فكيف لا يوفي بوعده ويوفر لي وظيفة، فزعق قائلاً: وهل أنا القوى العاملة؟ أنا مجرد شاب في الثلاثين أحاول شق طريقي في ظروف بائسة! استفزني رده، فوقفت بخانة الشجار حتى انتقلت منها وأنا لا أحس إلى خانة الفراق.

عصام محسن

بدأت أكلم الدكتور ممتاز مدير المصحة عن نظرية الترميز الخاطئ التي أعمل عليها مع المرضى الثلاثة، فلم يفهمني، قال ملوحًا بيديه على اتساعهما: وكيف ستعمل تلك الطريقة؟ ونفخ في الهواء بغيظ، وكأنني أُطلِعه على نظرية التطور لداروين.

سكتُّ تخوُّفًا من رد فعله المقبل، حتى قال بنفاد صبر: "يا ابني يا حبيبي إنت شغال في مصحة في منطقة مقطوعة لأجل أكل العيش. كلنا يا باشا عاوزين ناكل عيش. نطبق الطرق القديمة أحسن. كلنا عارفين الطرق القديمة على الأقل ودارسينها. على الأقل نعرف نتعامل لو حصلت مصيبة، وإنت شكلك ماشي في مصيبة كبيرة إن شاء الله.. أقولك على حاجة؟ اكتب تقرير".

كتبت تقريرًا قلت فيه: "مشكلة أحمد هي تذكره لبعض الذكريات وربطها بشكل خاطئ بالحوادث الحاضرة والقصص الدينية. يعمل عقله على هذا المثلث، لا يغادره ولا يخرج من تلك الخانة. ما يرهقه هو التفكير. إذا فككنا الروابط الخاطئة وأعدنا عقله إلى نقطة الصفر، عقله سيبدأ يعمل من جديد كأنه طفل.

سنصل إلى شيء، الأمر نفسه ينطبق على حاتم، حل الترميز الخاطئ يكمن في إيقاف الأفكار الخاطئة بالأدوية، ثم متابعتها بإحلال أفكار سليمة محلها، الوهم الراسخ في عقليهما من الممكن إزالته. سيستلزم الأمر جهدًا جهيدًا، وربما يتطلب علاجهما بالموسيقى والموجات الصوتية. يلزمني للعمل على فك شفرة الترميز الخاطئ في العقل سنوات، ولا يمكن حل الشفرة في الوقت الحالي، لكن كل ما سنسعى إليه هو التفكيك عن طريق الحوار مع المريض، مع جلسات الكهرباء المتزامنة مع تعبير المريض عن أفكاره الخاطئة. جربت الطريقة ونجحت. ففي إطار تعبيد الطريق أمام المريض ليتخلص من ذاكرته يمكن الاستعانة بجلسات الكهرباء في هذا الغرض، لكن ذلك يجب أن يكون أثناء جلسة يحكي فيها المريض تصورات العقل الخاطئة التي اكتسبها، بسبب الترميز الخاطئ الذي صار عقله يعمل وفقًا له. جلسات الكهرباء والأدوية المفردة لن تفضي إلى أي نتيجة، المرضى يرفضونها لأنهم يعتبرونها دليلاً حيًا على مرضهم. وسوف لن يعترفوا بذلك الأمر وإن انطبقت السماء على الأرض".

"لا أعرف إن كان يمكن بعد الوصول لشفرة الترميز الخاطئ التي يوجدها فيروس المرض النفسي في العقل لحل المشكلة من

جذورها، أم أن ما سنتوصل إليه سيكون نظريًا فقط. الشفرة تمضي بتتابعات معينة يمكن التعرف عليها بدراسة العقل من جديد، والدليل أن مرضى الفصام يصلون إلى نفس الأوهام. دافع الاستسلام لفيروس المرض النفسي الأوَّلي عند كل المرضى يكون الخوف، الخوف الناتج عن ضعف البنية الداخلية النفسية، وجودة المكون البشري الشديدة التي تتطلب رعاية خاصة، كما يشتري المرء تحفة غالية ويضعها بمعزل عن الأتربة وأيدي البشر. هؤلاء المرضى مثلهم مثل التحف، المرضى النفسيين هم التحف البشرية التي أهلكها الواقع".

جاءني رد الدكتور ممتاز مكتوبًا أيضًا: "لا أعرف شيئًا عن النظرية التي تحكي فيها منذ شهور، لكنني لست مستعدًا لأي هراء. أنا رجل في الخمسينيات من العمر، الذي يحتاج فيه المرء المضي في طريقه بأقل مقدار من الطاقة. يغلب على ظني أنك لما انغمست في حالات هؤلاء المرضى الثلاثة صرت متوهمًا مثلهم، أو أنك على شفا حفرة من الجنون. عليك بالعودة إلى القواعد الأولى، أو العيش بقواعدك في مجرتك الخاصة أو في بيتك، أما هنا فإننا نطبق القواعد. نعيش من أجل هذا. العمل في جوهره هو تطبيق للقواعد، أما إن كنت تحب العمل وفق قاعدة جديدة فهذا

لا يعمل في مملكتي، لأنني لا أحب التجديد من الأساس، وأفضل كل ما هو قديم. العودة إلى القواعد هي الحل الوحيد. نحن لا نملك إلا جلسات الكهرباء والحقن، والعنف إن لزم الأمر لإقرار القواعد".

اختفاء غامض

بعد 3 أيام من الرسائل المتبادلة بين عصام محسن وممتاز سليم نشرت صحيفة الأهرام الخبر التالي:

"اختفاء غامض لثلاثة مرضى نفسيين برفقة طبيبهم المعالج".

اختفى ثلاثة من المرضى النفسيين كانوا يتلقون العلاج في مصحة بمدينة العبور، برفقة الطبيب المعالج لهم، في ظروف غامضة، فيما أعلنت وزارة الداخلية حالة استنفار للبحث عن المختفين الأربعة، بعدما أبلغ أهاليهم عن فقدان كل أثر لهم.

وأشارت التحريات إلى أن آخر ظهور للمفقودين كان في المصحة الموجودة في شارع 6 بالتقسيم الأول في مدينة العبور، حيث كان الطبيب المدعو عصام محسن يجري جلسة علاج جماعية قبل أن يختفي الجميع فجأة.

وقال سيد عبد الله (عامل بالمصحة)، إن الاختفاء الغامض غير معقول، كون المفقودين جلسوا في غرفة بجوار غرفة جلس فيها برفقة عدد من زملائه، مؤكدًا أنه كان يسمع أصواتهم ويحس حركتهم، غير أنه فقد أي أثر لهم على نحو غامض.

ورجَّحت التحريات أن يكون الطبيب المعالج أخرجهم من باب طوارئ خلفي يطل على شارع خلفي ضيق، ولم تُعرَف حتى الآن دوافع تدعم فرضية إقدام الطبيب عصام محسن على تهريب المرضى، حيث يناقضها أنه اختفى شخصيًا برفقة المرضى.

والمفقودون هم: عصام محسن، طبيب نفسي، 37 عامًا، وأحمد هنائي خريج كلية الآداب، 27 سنة، لا يعمل، وحاتم دغيش مدرس لغة عربية 29 سنة، لا يعمل منذ سنوات، وشريهان يحيى خريجة إدارة أعمال، 23 سنة، لا تعمل.

وقالت "أ.ي" زوجة الطبيب المختفي عصام محسن: "لا يمكن لعصام أن يُقدِم على الانتحار أو ما شابه من إيذاء النفس، فهو معروف باستقامته الشديدة وحبه للحياة".

وأضافت: "يوم اختفائه كان يومًا عاديًا جدًا، لم يحدث أي شيء غريب فيه، باستثناء أنه لم يكلمني مطلقًا طوال اليوم. عصام لديه طفلان ولا يمكن أن يتخلَّى عنهما، أنا موقنة أنه سيظهر في القريب العاجل، فلا يوجد شيء يهرب منه، حياته مستقرة، ويحب ابنيه حتى الجنون".

وعما إذا كان ظهرت عليه أي علامات توحي بأي شيء غريب قبل الحادث، قالت زوجة الطبيب المختفي: "كان مُنكبًّا على أبحاث طبية في مجال علاج المرض النفسي، كنت كلما دخلت عليه أجده يستمع لتسجيلات المرضى ويقرأ مخطوطاتهم، وقد أفصح لي عن أنه يخترع طريقة جديدة للعلاج".

واختتمت حديثها باكية: "زوجي لا يهرب أبدًا أنا متأكدة أنه سيعود من أجل ابنيه وزوجته المسكينة التي لا تعرف كيف تتصرف دون وجوده بجوارها".

وقال مدير المصحة الدكتور ممتاز سليم: "عصام واحد من أكفأ الأطباء لدينا، لكنه انكبَّ على بحث غامض أغرقه في الانطواء، كان يحاول علاج المرضى بطريقة جديدة، وقد حذرته من ذلك خوفًا عليه، ويبدو أن ما خشيته قد وقع، فسقط في دوامة الأبحاث الجديدة ولم يعرف كيف يقاومها. أعتقد أنه كان يسعى للمجد بسطر اسمه بحروف من نور في سجلات العلم، فسقط بدلاً من ذلك في سجلات الضياع. هناك عدد كبير من العلماء وقعوا في نفس الفخ، فأهلكتهم علومهم وسعيهم المارق نحو الابتكار".

مخطوطات وُجِدَت لدى ضحايا الاختفاء الغامض

عصام محسن

كنت متعاطفًا مع هؤلاء المرضى، لأنهم في الحقيقة ذكَّروني بنفسي في مواضع مختلفة. مواضع لما أذكرها تنسكب دموعي ويهيض قلبي. ومن منا لم يمر بما مر به هؤلاء الملائكة الصغار؟ أكبرهم في التاسعة والعشرين، وأنا في السابعة والثلاثين ومررت بكل ما مروا به وتجاوزته. سبقت رحمة الله إليَّ فأنقذتني، كما سبقت إلى كثيرين غيري، لكنهم لا يفصحون. أنا فقط امتلكت الشجاعة كي أفصح.

لكن ما يمكنني قوله أيضًا إن هؤلاء جميعًا امتلكوا قدرات إبداعية واضحة، يمكن اصطيادها ببساطة من العبارات التي كتبوها، فلديهم قدرة جبارة على العيش في عوالم أخرى، والوصول إلى استنتاجات لا بد من الالتفات إليها، فقد مسهم مس وأصابهم صائب، حتى أنني لاحظت منذ تفرقي عن عملي ووجهت طاقتي إليهم أن قدرتي على الكتابة والتعبير زاد قدرها، مما رأيته وعاينته منهم. لكن المجتمع يريد أن يجني عليهم، ولا أحد يريد مد يد العون إليهم، فمن يعالجونهم يمرضونهم ومن يأخذون

بأيديهم يأخذون بأيديهم إلى الشقاء. البشر في النهاية لا يريدون أن يتعبوا أنفسهم بالتعامل مع الكائنات الضعيفة. البشر يريدون الأقوياء، يحبونهم ويتمرغون في ترابهم، ويستنشقون هواءهم، وينشدون منهم النظرة والالتفاتة، يحبون القوالب الثابتة التقليدية ولا يرغبون في التعامل مع مريد أو كاشف أو راغب في المعرفة المختلفة، وإنني إذا رأيت رغبة جامحة في تعذيب هؤلاء، إخوتي وأحبتي، فقد حاولت المقاومة لكنني لم أستطع الصمود، حتى أتتني لحظة استفاقة، فقررت التوقف عن المقاومة، وإنقاذ نفسي وإنقاذهم.

لماذا انحزت لهؤلاء الثلاثة تحديدًا؟ يبدو أن بروزهم دفعة واحدة جعل الحقيقة التي كنت أهرب منها أكثر كثافة، وهي أننا نخون ما نفعله، ونُحطِّم ما أردنا لإرادتنا أن تصل إليه في الأساس، ثم إنني في كل يوم ولحظة أتذكر ما جرى يوم أقسمت القَسَم، وأتخيل أن تلك اللحظة كانت إرهاصًا لما سيحدث في المستقبل، فقد رسَمَت ملابسي المستعارة يوم حلف القَسَم شكل مصيرى في المهنة، كانت نذيرًا بأن مهنة الطب ستكون مهنة مستعارة لبعض الوقت، حتى جاء ذلك اليوم الذي أطلقت فيه مرضاي وانطلقت معهم من عقالي.

أحمد هنائي

كتاب الجبل

إذ كنت أعيث في الجب ذهابًا وجيئة ومرواحًا وغدوًا فقد انطلقت أنام وأصحو وأنام على أرض الله. تلكم الأرض الجبلية التي أعطتني السكينة ومنحتني تجمدًا لا مراء فيه في الصيف، وحرًا من تحتي في الشتاء، أتكون هكذا طوال الوقت؟

صارت العادة عادتي والإلف إلفي، وإذ أنام فإنني لا أنام إلا أرضًا، ثم إنني بعد فترة بسيطة من الزمن بدأت أستغرب استغرابًا شديدًا ممن ينامون فوق أسرة وريش نعام ومراتب، النوم لا يكون إلا على الأرض، أرض الله التي بسطها لنا كي ننام عليها ونصلي فوقها لتحل علينا السكينة، إنها استخدامات الأرض التي أهملناها لما حاصرنا التمدين والحضارة. الحضارة التي أبعدتنا كل البعد عن السكينة الأولى التي خلقها الله لتحملنا فوقها.

السكينة لا تكون إلا إذا افترش الإنسان الأرض ورأى فوقه السماء. السماء والأرض سر السكينة الأوحد، الأرض تحتك والسماء فوقك، تراها وتنظر إلى نجومها. في هذه الحالة فقط تحل

السكينة عليك مهما كنت مهمومًا. تشعر أن الأرض التي ترقُد تحتك أنبتتك كما تنبت النباتات، تشعر أنك قريب من حجر زاويتك، من قطبك الروحاني، من مستقرك ومستودعك ومخدعك الأخير.

كل يوم أرقد هنا في العراء فوق الجبل أشم رائحة العالم البدائي، لا يمكن تعويض مثل تلك الرائحة التي أشمها، ولا أعرف حتى اللحظة ما إذا كانت الرائحة اللزجة العطرة التي أشم هي نتيجة للسكينة أم أنها سبب لها.

أحس أحيانًا بلحظات البشرية منذ بدايتها تمر في رأسي، فأشعر بسعادة مفرطة. تمر اللحظات في رأسي كأنها قطار، وأدرك وأنا واقف وقاعد ونائم فوق الجبل أن تلك اللحظات تمر في أدمغة كل البشر. لكنهم لا يشعرون بمرورها. يتطلب الأمر السكينة والعودة إلى العالم الأول.

كل لحظة مرت بالبشرية تمر في رؤوس كل البشر، ومنها يستدعي الشعراء والأدباء والمخترعون اكتشافاتهم. يستخرجون كنوزهم لمجرد أنهم منكشفون على ذلك المعين البشري أكثر من غيرهم. يصلون إلى ما وصلوا إليه، لأن أرواحهم شفافة، فلا يمكن لروح غليظة الانكشاف على أي قدر من الحقيقة.

وإذ استسلمت لتلك اللحظات فقد فهمت كينونتها وما تصير إليه، وأدركت أنها جميعها تتحوَّل إلى كتلة، كتلة موجودة في كل العقول، كل اللحظات التي تحيلنا إلى التذكر والحنين والرغبة والاشتهاء والتوسط والانتهاء والحب والبغض والكراهية والوقوف والاستدلال والعمق والحيوانية والإنسانية، هي في جوهرها تتألف من تاريخ لحظات البشرية التي وضعت في أدمغة البشر، مثل "فلاش ميموري"، ليستقي البشر منها معجزاتهم واستدلالاتهم واستنباطاتهم وخيباتهم ورغباتهم وذهولهم واندهاشهم من العالم.

ولما أقمت مملكتي وربطت ربطي واستلهمت من فؤادي عِبرته وموعظته، صرت أتكلم كما لم أتكلم، وأقول ما لم أكن أقول، وأمضي كما لم أكن أمضي، خفيف كريشة طيَّرها طائر إذ تماست إرادته مع إرادة الهواء، لا أعرف إلا ما أشعر، ولا أشعر إلا ما أريد، ولا تتخطفني الظنون ولا تنهبني الأحوال، ولا أعيش عيش البشرية الناكرة لجميل الروح.

وخفت روحي فلم أتصور ليأتيني الضيا من كوكب
وأجوس في العالمين فأرتدي ما لم أكن به متحسب
وأحسب صوت العالمين ثوانٍ كأنه إلى الزمان تحزب

أكتب هذه الأبيات وأمر في كل المسالك التي سلكها العالمين قبلي في الجبل، وأنسى الخوف وأعبر إلى الرجاء. أرى العالمين يتكلمون بصوت ليس بصوت ويبتسمون ويبشون، الرهبان وخدام المساجد العامرة فوق جبل الطور، نتقابل كما يتقابل النمل في مملكة النمل. كلٌ يعرف أن الآخر إلى وجهته راجل، فلا أحد يسأل أحدًا عن شيء ولا يوقفه ليستبين طريقه. كلٌ معه بوصلته يوجهها كيف توجهت، فهي الوجه والوجهة والصراط والضياء والحزن والفرح، ولا صوت يعلو أبدًا في تلك المملكة.

كتاب الذئب

أمضي في المساءات كما أمضي في النهارات، فتخطفني التجربة. الطريق يخلو تمامًا أمامي في تلك الرحلات، التي هي بلا طائل سوى اكتشاف الكشف. غير أنني في ذلك اليوم أسمع صوت عواء، يقع الخوف مني موقعه الأول، فأثبت مكاني، فيظهر لي الذئب. حيوان عريض عرضًا لا يمكن للنظر احتواؤه، وإن كنت قبل ذلك لا أظنه هكذا. كنت أتخيله كما صورته في الذهنية البشرية. حيوان عادي كالكلب أو الثعلب أو أكبر

حجمًا بقليل لكن أن يكون له كل هذا العرض فهذا ما أخافني، فقد سد عليَّ الطريق، فلم يعد إلاه أمامي وخلفي ومن حولي وعن يميني وعن الشمال.

اقترب الذئب مني فلم أدرِ لماذا تذكرت قصة سيدنا يوسف، والذئب المتخيل الذي صنعه إخوته من خيالاتهم، قطار البشرية الذي يمر في رأسي أستعيدة الآن. تتكاثف تلك اللحظات في رأس الإنسان ساعة تحيق به مخاطر مثلما ألاقي الآن، لا يفتح الذئب فوه ولا يتحرك. ظله فقط هو الذي يتحرك، وإذ يتحرك فإنه يغمر من كل زاوية واتجاه. يقترب مني وإذا يغرز أظافره في لحمي أوقن فجأة أنني سأعبر المنعرج وأتخطى الخطر، وأرى سحابة عجيبة في السماء تخرق الليل. تحملني هذه السحابة حتى أمر بها من فوق الذئب فأختفي وأظهر.

بعد تجربة الظهور والاختفاء تختفي كل المخاوف والهواجس من قلبي، فأعيث في الجبل التطواف، فلم أعد أخاف من إنسان ولا جماد ولا حيوان ولا طائر ولا حشرة ولا عقرب ولا فيل ولا ابن آوى ولا ضبع ولا حتى أسد الغابات. أتذكر قول الله تعالي "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيْرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالكُم"، أمم أمثالنا، أي أنها مأمورة يسري عليها أمر الله وتسير

وفقًا لمشيئته، فلا تفتك بإنسان ولا حيوان إلا بإرادة الواحد القهار. فماذا إن أمرها ألا تؤذي؟ أتؤذي؟ الأمم أمثالنا لا تؤذي إلا بمشيئة المنتقم الجبار.

كتاب الكهف

أغزو السهول والكهوف. وإذ أنام في كهف للمرة الأولى أشعر أنني جنين في بطن أمه، وأدرك مدى روعة ما أحسه الإنسان في الجب الأول الذي رقد فيه وتغذى منه، قبل أن ينتقل من الظلمات إلى النور. وأحس راحة وانتهاء ضمير وبلوغ غاية لم أكن لأبلغها إلا بإرادة الله الذي صيَّرني إلى ما صيرني إليه.

تمر من فوقي السيول فلا أرتعش، وتقف فوقي العقارب فلا تقرصني، ولا ينالني من سمها شيئًا، إلا مرة واحدة لدغتني فيها حشرة صغيرة فاحمرَّ جسدي احمرارًا لم أر منه في حياتي ولا مرة، حتى يوم أصابتني الحُمى. أرشدني الله إلى تناول بضع حمامات نصبتُ لها فخًا لما تعلمت أن آكل من رزق الطبيعة. وضعتها الحمامات جميعها في إناء ضخم. أشعلت نارًا ثم انتظرت حتى

ذابت الحمامات تمامًا في ماء وضعته، ثم شربت الخليط فبرئت، ولم أعرف كيف توصلت إلى هذه الطريقة التي يبدو أنني ألهمت بها إلهامًا.

في الصيف يتحول الكهف إلى مكان بارد، وفي الشتاء يتحول إلى مكان ساخن، ولا أعلم كيف، أسأل الشيوخ الذين يمرون فوق جبل الطور وهم يركبون حميرًا، لها مقطفان وُضِعا علي جانبيها، فلا يجيبون. من يجيبون على تلك الأسئلة عادة هم الرهبان الذين لا يركبون الحمير، لكنهم فقط يمشون على أرجلهم مهما بلغ طول المسافة. قال لي واحد من الرهبان إن الكهوف الموجودة في جبل الطور هي وحدها التي تتسم بهذه الخاصية، لأنها مباركة، أما باقي الكهوف فهي عكس ذلك، في الشتاء برد وفي الصيف حر، فاستغربت مما يقول.

كتاب الأرض

تنبت الأرض إذ تنبت مجموعات عجيبة من النباتات التي لا يصل إليها عقل إنسان. جربت أكل الحراشف والريشيات النباتية

التي تظهر أحيانًا، ووجدت فيها منقذًا من الجوع، ثم إنني بعد فترة وجدت لها طعمًا، ثم إنني بعدها بدأت ألتذ بلذتها، فصار لها طعم يشبه الفاكهة.

الأعشاب التي تظهر أعدادها كبيرة جدًا، هناك أيضًا أعداد من النباتات والريشيات لا تنبت إلا في جبل الطور أو في سيناء عمومًا، لها مقدرة عجيبة جدًا على شفاء الإنسان من أي مرض، كما أنها تسد الجوع كأن الإنسان قد أكل بها سد الحنك، ذلك العجين المصنوع من الدقيق والسمن والسكر.

أكلت من كل الحشائش حتى زادت قوتي بشكل مروِّع، فصرت أمضي بلا أوجاع وأضرب بيدي فوق الحجر فيلين. يبدو أن الرهبان يمشون كل هذه المسافات بمساعدة تلك النباتات التي لا تظهر إلا في العراء، لكن لماذا لم يقولوا لي السر؟ لماذا لم يفصحوا عن سبب حلول بركتها فيهم؟ عمومًا فالرهبان طبيعتهم الكتمان، وأنا لا يصيبني الحزن بسببهم، لأنهم ربما يعتبرون تلك النباتات كشفًا بشريًا يخصهم، أو أنهم يريدون أن يحظوا وحيدين بالبركة، أو ربما يكون هناك سبب آخر وراء ذلك. أقابل الراهب الذي أخفى عني السر، فأقول له وأنا متفاخر بأنني اكتشفت سر القوة الخفية في نباتات الجبل، فيبتسم تلك الابتسامة التي تخفي

وتظهر ولا تقول شيئًا في النهاية، لكنه منذ تلك اللحظة التي عرف فيها أنني أدركت طريق النباتات المقدسة، بدأ يهيب جانبي، ويتعامل معي كأنني راهب مثله تمامًا، فصار يبتسم في وجهي كلما مر عليَّ ويلقي عليَّ أحيانًا بعض الصدقات التي أصابته.

حاتم دغيش

السحر والنجوم

لما ظننت أنني مسحور اندفعت في الاتجاه أركض، وقد رسخ في قلبي أنني ممسوس من الجان، وإذ فكرت في ذلك فقد تتبعت الموضوع من كل الأوجه، وزرت كل الزوايا التي يمكنها مساعدتي، فوجدت أن هناك عرقين في مؤخرة الرأس عندي يدلان على المرض، فهما إذ ينتفخان وينبضان تسوء حالتي، ورسخ عندي ظن بأن قريني يحدثني بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان، ولم تكن تقع في نفسي من قبل.

رباه! من أزهقني بهذا البلاء العظيم بعدما كنت هانئًا أتقلب في الأسرَّة والفرش؟! أنزل إلى عملي وأضحك وأتضاحك وأمضي وراء الفتيات في الأسواق لما تقرصني الغريزة، أتتبعهن في محطات المترو التي تعدل عندي حجر الزاوية الذي يساعدني على التقاط أجسادهن بكاميرا عيني وأنا جالس في مكاني، في تلك المقاعد الرخامية التي طالما رأيت منها فتيات لا أعرف كيف ينتشرن في أرجاء المنطقة الموبؤة التي أسكنها، ثم أن السؤال الذي تحيرني إجابته هو: أين يختفين بعد ذلك؟

أبحث في هذا الأمر ولا أصل لشيء، ثم أحاول أن أتخطاه، فأذهب للعطارين وأنفذ كل تلك الترهات التي أجدها على مواقع الإنترنت الصديقة وغير الصديقة. هناك موقع يخرج منه رأس رجل يخبر الناس بما يجب أن يفعلوه في هذا السياق، وكأنه يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم. أتتبع هذا الملتاث ولا أصل لشيء، أستحم بالماء الذي تلوت عليه سورة البقرة ثم أنني قبل أن أدخل الحمام أستغرب كيف يمكنني أن أصُب هذا الماء الذي طهَّرَته آيات القرآن في بيت الشيطان، فأتراجع، وإذ تساعدني وحدتي فإنني أستحم بالماء المقدس في الصالة، الجنون المطبق سيتهمني به من رآني صدفة. أقول لنفسي وأقفل كل النوافذ وإذ يهمني الوسواس فإنني أضع على النوافذ والشرفات قطع قماش، هي في الأساس ملاءات وضعت فوق الأسرة الثلاثة التي تركتها لي أمي من متاعها.

أصاحب الرغبات الصادقة وأنا ألقي فوق رأسي ماء الإناء، وأتذكر أمي وهي تحممني في الطفولة بالطريقة ذاتها، وأرتعش الارتعاشة ذاتها، ويجول في رأسي خاطر يقول إن الارتعاشة في حد ذاتها دهشة، وأفكر في رعشة الجنس، ويصل رأسي إلى أن الارتعاشة هي أداة اللذة، أي أن الارتعاشة إذا غابت غابت

اللذة. ثم فكرت أنه يمكن استغلال الأمر لزيادة اللذة الجنسية، عن طريق زيادة هزات الارتعاشة، وليس عن طريق تلك الترهات البالية التي يلقونها في آذان الناس من إطالة العضو وأدوية الفياجرا والسيالس، واللعنات الأخرى التي انصبَّت فوق رأس البشرية من عند العطارين، ومنها حجر جهنم ودهان عجيب اشتراه صديق لما تزوج ليزيد انتصاب كرباجه اللاهث خلف المتعة.

لكنني لم أصل إلى شيء أثناء بحثي الحثيث، فقد ظلت طاقتي معدومة ونفسي مقطوعًا يكاد يذهب من أي شيء، وإني إذ أقف حتى لأُصلِّي فإنني أجد لهاثي يعلو وصوتي ينقطع، ولا يبين لحرفي مدخل من مخرج ولا ظاهر من باطن. وإذا تعثرت هذه العثرة وسقطت في تلك الحفرة وانزلقت إلى ذلك الفخ فقد كان لهاثي طوال سنوات خمس من أجل انكشاف تلك الغمة وعبور تلك الفترة، وبدا لي أن استعادة صحتي واسترجاع ذاتي القديمة أمر بالغ العسر، حتى لقد أصبح حلمًا لا يكاد يبين لي أنني سأبلغه.

صرت أحيانًا أتمنَّى أن تعود لي ذاتي القديمة مرة واحدة، لكنه المرض. كل كتب السحر والنجوم لم تصل بي لشيء، أتمنى أن أعود مرة أخرى إلى البريق، اللمعان، الرغبة الحية، القدرة الفائقة التي يملكها الإنسان، والتي أفهم الآن أنها كانت بحوزتي في الماضي

وأنني لم أستغلها كما ينبغي، وتصعب عليَّ كل لحظة أهدرتها دون الاستفادة منها، فاللحظات لا تُلقَى هكذا في الهواء هباء منثورًا.

النص والنقد.. حلٌ وعقد في اللغة

إذ بلغ النص بنيته، فقد أجمع النقاد على أن هناك نظريتين، البنيوية والتفكيك، وهما نظريتان جديرتان بكل ما هو جدير في العالم الأدبي، لكنني كنت أميل دومًا إلى التفكيك، أُفضِّل حالة التفكك؛ حالة البناء أراها الأكثر استدعاء لحالة الأدب. الأدب يستمد جزءًا كبيرًا من كينونته من الفوضى. الفوضى الخلاقة إن جاز التعبير. لكنني إذا أنقد فلا بد أن أقول جديدًا، وهو محور الخلاف الأزلي بيني وبين عبد الحميد فتحي، فهو مستسلم جدًا للقوانين القديمة في النقد، وكأنها قرآن، مع أنني أرى وقلت له إن ما أُنجَز في هذا السياق لا يتجاوز واحدًا بالمائة، بل إن الإنجاز البشري في مجال العلم عمومًا لم يتجاوز الواحد في المائة مما سيصل إليه الجنس البشري.. هذا معتقدي.

فماذا عن الجديد الذي أبغى تقديمه؟ وما هي نظريتك يا حاتم؟ نظريتي الجديدة تقوم على وقع الحرف، على طاقته تلك

التي لم ينلها بالعلم إلا الصوفيون، وكأنهم احتكروها فلم يحاول قط أي عالم من علماء اللغة التفلسف في هذا الأمر لبلوغ مداه. طاقة الحروف تلك التي تعطي للنص الأدبي معناه. أحيانًا أقرأ نصًا مهلهلاً للغاية لكنه يعطي فائدة أكثر بكثير من نص مُحكم، ما هو السبب؟ السبب هو ترتيب الحروف.

يقول بدر شاكر السياب:

وتلتف حولي دروب المدينة

حبالاً من النار يجلدن عري الحقول الحزينة

ويحرقن جيكور في قاع روحي

ويزرعن فيها رماد الضغينة

في هذا النص مثلاً حرف الراء لعب دور البطولة. أسبغ على النص معناه، لذا يمكننا تسميته مثلاً نص الراء، وهكذا إذًا يمكن صياغة علم جديد على غرار علم العروض. العروض كان علمًا خلاقًا لأنه قسَّم اللغة لتابعات معينة، وعرف الدنيا كيف يمكن أن تكون التفعيلة دالة على صوت لغوي معين، لا بد من عمل تفعيلة أخرى للحروف وليس للكلمات، تضع طاقة الحروف في اعتبارها، فهناك حروف لها طاقة زائدة، كما أن هناك حروفًا معينة

تؤدي معاني أفضل من غيرها، فإذا كنا مثلاً نتكلم عن العمق فإن أفضل حرف للتعبير هو العين، حرف العين له مظهر دلالي آخر، وهو أنه حرف عميق، له قاع حتى في السمع، له مقدمة ورأس وقاع، يشبه الإبريق إن أردنا التشبيه، ما هو مسؤول عن جودة النص الأدبي سواء السرد أو الشعر هو تراتبية الحروف، وليست تراتبية الحركات والسكنات كما في التفعيلة.

الحروف التي هي مثل الراء والعين والدال والغين والقاف والكاف والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والباء والتاء والجيم والحاء والخاء واللام والميم والنون أكثر دلالة من غيرها، بسبب التكرار، أو للدلالة الإيقاعية لها، وهناك حرف بكل الحروف، العين والراء هما أهم حرفين بالنسبة لي، لدلالتهما الإيقاعية الجبارة. إنهما اللذان يخلقان الإيقاع في قصائدي.

السن ودلالاتها

أظن أن السن لها دلالة مفرطة، فقد خلق الله الناس كلهم ليمروا بنفس المراحل الزمنية، وذلك أمر في حد ذاته غريب، لكن

كل سن لها فهم خاص بها، فهي كتاب في حد ذاتها، يمكن التعلم أكثر أثناء المرور بها إن فهم المرء معناها، وإذ كنت معنيًا بالتصنيف لأنني أرى التصنيف هو العلم، فلا بد لي من ذكر ما عنَّ لي لدى ملاحظة السنوات التي مرت عليَّ ومررت عليها، ومعنى ومدلول السنوات.

السنة الأولى هي سنة الرضاع، والثانية المشي، والثالثة الكلام، والرابعة النظر، والخامسة الجري، والسادسة القفز، والسابعة الفهم، والثامنة القراءة، والتاسعة الكتابة، والعاشرة الاستواء، والحادية عشرة الرغبة، والثانية عشرة اللهفة، والثالثة عشر الحنين، والرابعة عشر البلوغ، والخامسة عشر الوجد، والسادسة عشر الرجولة للرجل والأنوثة للمرأة، والسابعة عشر الركوض، والثامنة عشر اللهاث، والتاسعة عشر التهافت، والعشرون النزق، والحادية والعشرون الرشد، والثانية والعشرون اللمعان، والثالثة والعشرون البريق، والرابعة العشرون المفرق، والخامسة والعشرون المغزى، والسادسة والعشرون الرفيق، والسابعة والعشرون الأبوة أو الأمومة، والثامنة والعشرون الإفاقة، والتاسعة والعشرون التفكر، والثلاثون النضوج.

الجماد والطين.. الحي والميت

هل كلمني الجماد؟ كلمني حتى قال قوله كله، فما هي حال كلام الجماد؟ ليس كلامًا بقدر ما هو إشارة، وليس هو معنى بقدر ما هو مغزى، وليس دليلاً بقدر ما هو لفتة. لكن هل كل الجماد الذي في الفضاء يكلم الإنسان؟ لا بكل تأكيد، وهل يكلم الجماد بعضه؟ لا بكل تأكيد. لكنه يكلم الإنسان أحيانًا إذ تحين الفرصة. ومتى تحين الفرصة؟ ربما مرة واحدة في العمر، وربما لا يحدث ذلك أبدًا.

ثم هل يتحول الجماد من حالة إلى حالة؟ نعم بكل تأكيد فإذ يتحول الطين إلى صلصال تنتابه حياة، وإذ يتحول الصلصال إلى إناء فإنه تنتابه حياة أخرى. الجمادات التي من الطين لها طابع مختلف، تؤثر على حيوية الأجواء، فإن وضع ماء إناء فخاري في مكان فإن ذلك ينشر حياة مختلفة في الأرجاء، لأن الطين يختزن الطاقات الحيوية التي مرت عليه. الصانع الذي صنع أعطى قطعة من حياته وهو يصنع، والتاجر الماهر مسح على الطين فأعطاه من عمره ثواني. كل هذا يتحول إلى طاقة إيجابية مريعة ينشرها الطين في المكان الموجود فيه.

فماذا إذًا عن الحديد الذي تُبنَى به العمارات والبيوت ويكون شاهدًا على حيوات البشر والطوب والزلط وغيرها. هل يختزن جزءًا من أي شيء؟ هل تنتقل إليه حيوات البشر؟ لا تنتقل إليه أي حيوات، لأن الحديد والطوب جمادات جامدة، وليست جمادات حية كما الطمي والطين.

كتاب التشبيه

شعري كله تشبيه ومسرحياتي كلها تشبيه، ولغتي كلها تشبيه، فلما لاحظت ما أكتبه وجدت حرف الكاف هو الأكثر ظهورًا، وليس ذلك شيئًا يعيبني كما يقول الأصدقاء النقاد والمتشاعرون. ساعات ينصحونني بإزالة حرف الكاف من قصائدي، ويقولون لي إن كانت كل حروفك تشبيهًا فاعمل لنفسك لغة خاصة بك، أو صِغ قصيدة عن التشبيه أو في حب التشبيه إن أمكن، وإذ أجد في ذلك سبيلاً لنقدي فإنه أيضًا وسام على صدري، فقدرتي على استخدام التشبيه هي مهارة من مهاراتي.

لا أجد في ذلك أي عيب، عطفًا على أنني أعشق التشبيه بشكل واعٍ. أميل إلى تشبيه كل شيء وأجد أن الشيء لا يكتسب زخمه إلا إذا شبَّهناه بشيء آخر، ألم يقل الشاعر "وبضدها تتمايز الأشياء"؟ وإنني إذ أقول فإنني أقول "وبالتشبيه تتمايز الأشياء" أو "بشبيهها تُعرَف الأشياء" أو "تصير أكثر تحققًا". اللغة نفسها تشبيه، اللغةُ تشبيهٌ كبير، تشبيهٌ كبيرٌ لما يعتمل في النفس، فالإنسان يستخدم اللغة لتشبيه ما يعتمل في داخله بما يفهمه الناس، وكل على حسب فهمه، فالبسطاء لهم تشبيهات بسيطة، والمتبحرون في العالم لهم تشبيهات نخبوية، وأنصاف المتعلمين لا يفهمون إلا التشبيهات النصفية، التشبيهات التي تشبههم.

إذ أستخدم التشبيهات أجدها تفتح مجالات أخرى لفهم المعنى، بل إنها تمنح المعنى نفسه معنى جديدًا. معنى إضافيًا لا تجلبه إلا الكتابات الأدبية. يفتح التشبيه مجالاً أكبر للغة. هو طاقة القدر لها بلا شك، ومعينها الذي ينبض، التشبيه بالنسبة لي هو المجاز الأكبر. وطاقة البلاغة التي دلت على المعاني كلها.

شريهان يحيى

إذ حاولت الاتصال بالعوالم الأخرى فقد بدأت بالإنترنت، ذلك المجال الواسع الذي يحارب الناس للبقاء فيه ليل نهار. أفتح هاتفي المحمول لما أصحو من النوم وأستقبل إشارات الإنترنت كأنني أستقبلها في جسدي، فينير عقلي وينبهر.

سمعت عن العين الثالثة، وكيف يمكن لامرئ أن يفتحها، لكن خوفي تملكني لما علمت أن من يُقدِم على خطوة مثل الانزلاق إلى العوالم الأخرى فإنه لا يصبح من حقه العودة، كما لا يصبح آمنًا أيضًا.

لكن ما لاحظته أن عددًا من الأبواب صارت تنفتح لي في هذا الاتجاه كلما فكرت فيه، فنَمَت لديَّ قدرة الحدس، حتى صرت أحس الشيء قبل حدوثه، كما تنبت في رأسي شجرة من الخيال تسبق ما يقع لي من حوادث، ثم أنني بدأت أستدعي الأشخاص بنفس الطريقة، التخاطب عن بُعد. لم أصل بعد إلى مرحلة الرسائل المتبادلة التي تشبه رسائل الهاتف، والتي تكلم عنها المتكلمون فقالوا إن آينشتين وفرويد كانا يتبادلانها كما يتبادل الناس الخطابات، لكنني على الأقل صرت أجذب الأشخاص

والحوادث بتفكيري فيها، فعندما أصُب طاقة تفكيري على شخص فإن تلك الطاقة التي استهلكت في التفكير لا تتبخر ولا تصبح عدمًا، يشعر بها الآخر، لكنه لا يفهمها بسبب زحمة الأحداث التي يمر بها في حياته اليومية، لكن ما لاحظته أن الإيمان بهذه القدرة ينميها جدًا ويجعلها مثل القانون أو القاعدة.

غير أن ما هو مثير للدهشة حقيقة، أن الاستدعاء عن طريق رسم الصور في الخيال طريقة لا تفشل أبدًا. لا أثق بما أقول بنسبة مائة في المائة، لكن هذا ما أحس به، فعندما استدعيت أحمد في خيالي تكثف الخيال فصار واقعًا بعد أيام، شهران تقريبًا من استدعائه أنتجا مقابلته بالصدفة في ميدان طلعت حرب.

في ذلك اليوم الذي قابلته فيه قالت لي صديقتي التي جررتها ورائي إن الآيس كريم الذي ساح على جوانب فمينا يستدعي التمشية، لكنني أصريت على الجلوس بنفس النقطة التي انساق إليها أحمد، كأنه في حفلة تنويم مغناطيسي. كانت لحظة سعيدة جدًا، فقد سبقها مزيد من السعي واليقين الذي لا يتكئ على أي مبرر عقلي. لكن ما نحسه يحدث في النهاية، ومن هنا تكتسب الحياة جوهرها وأهميتها، فلو لم تكن الإمكانية موجودة لما أصبح للوجود الإنساني لون ولا طعم ولا رائحة.

الإشارة إلى تلك النوعية من العلوم الغامضة التي أدمنها تأتي أحيانًا في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، كرسائل خفية لها شفرات. يحدث ذلك كثيرًا في الأغاني الأجنبية المصورة، التي ينطوي بعضها على رسائل للمتتبعين أمثالي، وبعض الجلسات السرية التي تجري بمناطق نائية في العالم.

ما لاحظته في النهاية أن هناك تعتيمًا على مثل هذه العلوم التي تعني بأفكار الانتقال عبر الزمن والسيمائيات والاختفاء والظهور في أماكن أخرى. هناك إجماع أحسه على جعل تلك العلوم سرية، وإيمان بضرورة بقائها قاصرة على فئة محدودة من البشر.

أستغرب بشدة ممن لم يبحثوا حتى من باب العلم بالشيء ولا الجهل به، فيما يتعلق بالكائنات الفضائية والأطباق الطائرة. هؤلاء الناس غافلون. تغمرهم الطمأنينة الأرضية. لا رغبة لديهم في الطيران ولا سعي لديهم للاختلاف ولا انجذاب منهم لفكرة الظهور والاختفاء، يفكرون في الظهور والاختفاء والانتقال الآني كأنها خرافات شائعة، مع أنني أجد في نفسي هوى لا ينقطع تجاه هذه المسائل، وأرى أن الإنسان لو أُعطَى مثلاً إمكانية الاختفاء والظهور فإنه لن يحتاج بعدها شيئًا من الحياة. لن يفكر

في شؤون اليوميات التافهة، الأكل والشرب واللبس، سوف لن يصبح في رأسه سوى فكرة واحدة، وهي كيف يستفيد من الظهور والاختفاء، وكيف ينتقل آنيًا ويتجول بين العوالم، وهي الفكرة التي لا أراها مستحيلة، فإن كانت هناك عوالم فإنه يمكن الانتقال بينها، وإن كان هناك فضاء فيمكن الإبحار فيه، وإن كانت هناك مجرات فيمكن الطيران إليها، هذا ما هوت نفسي إليه وما فكرت فيه وآمنت بفرصة حدوثه.

عن المؤلف:

شاعر وروائي مصري من مواليد القاهرة

تخرج في كلية العلوم جامعة عين شمس

يعمل صحفيا في جريدة اليوم السابع

صدر له:

حفلة التجسس – رواية – شمس للنشر والإعلام -2015

هواجس الشيخوخة المبكرة – شعر – روافد للنشر والتوزيع – 2017

للتواصل مع المؤلف:

abdo_kmal@yahoo.com

abdulrahman.kamal@facebook.com